الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة

كلية: الآداب واللغات.

القسم: الأدب العربي.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

أدبيات فرانز فانون وعلاقته بالثورة الجزائرية

إعداد الطالبتان:

حفيظة رحماني

سعيدة محمدي

إشراف الأستاذ:

خالد عثمانين

السنة الجامعية

2022 / 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الحمد لله على تمام نعمه عليه، وأن أعاننا على إنهاء هذا الجهد المبذول الذي أهديه لأمي، وأبي، لكل أفراد عائلتي، لكل صديقاتي، لمشرفي، ولجامعتي؛ فأهديها للجميع.

سعيدة

الحمد لله الذي جعل العقل نعمة لنا وجعل العلم واجبا علينا وجعل النور طريق هدايتنا

إلى من أحمل اسمه بكل فخر إلى من جرع الكأس غارفا ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب الكبير...إلى أغلى إنسان على قلبي إلى أبي...إلى أملي في هذه الحياة حفظه الله وأطال في عمره.

إلى حكمتي...وعلمي...إلى دربي...وحلمي إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل...إلى حبيبتي رمز التضحية...أمي حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله...إلى من علموني في الحياة، إلى إخوتي، إلى من قضيت معهم أجمل اللحظات إلى من سأفتقدهم إلى رفيقات دربي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

حفيظة

كلمة شكر

نتقدم بتشكراتنا لجامعتنا، لكليتنا، لأساتذتنا، لكل الطاقم الجامعي، على رأسهم مشرفنا الذي سهر على توجيهنا، وتصحيح ما عثرت به أقلامنا، نشكره على أن فرغ لنا من وقته؛ ليترك أثره الذي زاد هذه المذكرة جمالا، وإتقانا.

حفيظة

و

سعيدة

مقدّمة

إن تاريخ الجزائر النضالي حافل بالشخصيات الفريدة من نوعها، والتي تركت أثرا عميقا في طياته؛ فالمتصفح للحركات النضالية منذ أول بداياتها؛ يجد مجملها يدعو إلى الكفاح من أجل التحرر بمختلف الأساليب، والطرق والمتنوعة، وحتى أن احتكاك بعضهم بالمواقف التي يعانيها الشعوب من جراء المُسْتَعْمِر الجائر؛ الذي ما انفك أن يبتعد عن طريقها أمام التحرر، ولهذا سعت هذه الشعوب إلى البحث بشتى الطرق للحصول على غايتها المنشودة.

وقد كان لبعض الشخصيات صداها الكبير في بعث هذه الروح التحررية للشعوب، وهذا هو الحال مع "فرانز فانون" هذه الشخصية الفريدة من نوعها، والذي كان له بصمته الكبيرة في هذه القضايا، وفي دعوته الصريحة إلى الكفاح من أجل التحرر، وتوضيحه الطريق، والمنهاج لفعل ذلك؛ فبانخراطه للثورة الجزائرية المجيدة؛ كواحدة من الثورات الدالة على معاني الكفاح الجلية لطرد المُسْتَعْمِرِ الغاشم.

ونحن بصدد دراسة موضوع حول هذه الشخصية التي قدت للثورة الجزائرية عونا يعد بارزا في طريق خدمتها لها والتي حملت هذه المذكرة عنوانه: " **أدبيات فرانز فانون وعلاقته بالثورة**".

ويعود **سبب اختيارنا لهذا الموضوع** إلى حبنا للاطلاع على تاريخنا، ومعرفة كل التفاصيل الملمة بموضوع هذه الشخصية فيه؛ فأحببنا التعرف عليها بشكل مفصل لنبرز دور فانون، ودون أن ننسى أيضا طبيعة تخصصنا التي تجعلنا ندرس مثل هذه المواضيع؛ فكل تلك النقاط السالفة الذكر كانت من بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع.

كما أن موضوع"**أدبيات فرانز فانون وعلاقته بالثورة**"، شغل العديد من الباحثين لمعرفة أهم الأعمال التي قدمها فرانز وفانون، والتي قام بها،وقبل بحثنا في هذاالموضوع

محل الدراسة تبادرت لذهننا مجموعة من التساؤلات ابتدأناها نحن ب: من هو فرانز فانون كشخصية؟ وهذا التساؤل الرئيسي تتدرج تحته مجموعة من التساؤلات الفرعية كما يلي:

- بما اتصفت حياة فانون العادية، وعلى وجه الخصوص العلمية؟
- ما المقصود بأن لفرانز فانون علاقة بينه وبين الثورة الجزائرية؟
- فيما تبرز معالم هذه العلاقة من خلال مؤلفاته الخاصة؟

ومن أسباب اختيارنا لموضوع دراستنا هو للإجابة عن كل تلك الأسئلة التي انتابتنا قبل بداية مذكرتنا **قسمناها** إلى **فصلين**؛ فجعلنا **الفصل الأول** لدراسة **حياة فرانز فانون**، واتخذنا من **الفصل الثاني**مجالا لتحليل**كتابه معذبو الأرض**، وأدرجنا تحت كل فصل مجموعة من المباحث، والمطالب.

يعود الهدف من دراستنا لموضوع مذكرتنا إلى الإحاطةبالكتابات التي كتبت في شخصية فرانز فانون؛ وأيضا يهدف موضوعنا لإيصال صورة منسجمة حول شخصية فرانز فانون، وأهم الجوانب التي تحدث عنها الباحثون حوله في كتبهم المختلفة ذات المواضيع المتنوعة.

كما أننافي هذه المذكرة جمعنا أهم تلك الجوانب، التي تسهل للقارئ معرفة كل ما يدور حول شخصية فرانز فانون، وطبيعة علاقته بالثورة الجزائرية، كما أن موضوعنا يهدف إلى تقريب المفاهيم للقارئ المتخصص في التاريخ، ولا يعرف عنه إلا القليل، ويصعب عليه قراءة كل المؤلفات التي ألفت فيه، فهذه المذكرة جمعنا فيها كل ما تناولته الدراسات حول شخصية فرانز فانون، كما يظهر هذا واضحا من خلال عناوين فصولنا.

نذكر هنا مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت بعض من جوانب موضوعنا، وهي عبارة عن كتب مختلفة ككتاب **فرانز فانون الشخصية اللامعة** لأحمد مجدي، الذي

تناول شخصية فرانز فانون بكل جوانبها البارزة؛ مركزا على حياته الشخصية، والعلمية، وأيضا دراسة **أعلام بارزة في الكفاح النضالي (فرانز فانون أنموذج)** لعبد السلام عيساني؛ حيث تناول مسيرة فرانز فانون النضالية، وهذه أهم الدراسات السابقة التي تلتقي مع موضوعنا.

وقد أعاننا في مذكرتنا مجموعة من المصادر والمراجع كفرانز فانون بكتابه **لأجل الثورة الإفريقية**، ومحمد الميلي بكتابه **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، ورابح لونيسي بكتابه **فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية**، هذا الأخير كمصدر في تحديد حياته بشكل من التفصيل، وكل هذه المصادر المختلفة استخدمناها في فصلنا الأول، وغيرها من المراجع الأخرى التي اعتمدناها فيه.

دون أن ننسى المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في فصلنا الثاني؛ رغم أنه كان عبارة عن تحليل لكتاب **معذبو الأرض**؛ إلا أننا استخدمنا مجموعة منها في تحليل أفكار هذا الكتاب كلينة ياسمين من خلال مقالها حول هذا الكتاب، وغيرها كثير.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا؛ فهي صعوبات أي باحث يسعى لإيصال ما يريد به من خلال موضوعه، من خلال قراءة لمختلف الكتب التي تخدم موضوعه، وغيرها من الصعوبات التي قد انتهى الشعور منها بمجرد تكملة هذه المذكرة، وإتمام الجهد الذي سعينا لإيصال فكرتنا من خلاله.

نشكر الله تعالى أولا على إتمام هذه المذكرة، نشكر الوالدين الكريمين، ونشكر كل أقاربنا، وكل من كان له عونا لنا من قريب أو من بعيد، نشكر مشرفنا على نصائحه القيمة، وتوجيهاته التي زادت هذه المذكرة جمالا، وإتقانا.

الفصل الأوّل:

نبذة عن حياة فرانز فانون

المبحث الأول: نشأة فرانز فانون [مسيرته النضالية وفاته]:

المطلب الأول: مولده وأصله:

الفرع الأول: مولده:

فرانز فانون الشخصية التاريخية التي بلغ صداها كل الآفاق؛ هذا الأخير من مواليد قور دي فرانس، عاصمة جزيرة المار تنيك، ولد في سنة 1925[1]، وفي هذا الصدد ننقل قول أحد المؤرخين الذي التقى بفرانز قائلا: "التقيت فانون وكانت أول مشاهدته فيها...ذهبنا فورا إلى الفندق ولم أملك نفسي عندما كنت أتأهب لكتابة بطاقة الفندق أن ألقي نظرة على جواز فانون فوجدت أنه من مواليد 1925"[2].

ومنه فإن فرانز فانون من مواليد عام 1925م، وهذا بشهادة من جواز سفره؛ التي رءاها الميلي أثناء فضوله لمعرفة تاريخ ازدياده.

ووجدنا أحدهم يحدثنا عن تاريخ مولده قائلا: "فرانز فانون ولد في 20 يوليو 1925، المعروف باسم إبراهيم عمر فانون، من مواليد "فور دو فرانس –جزر المار تنيك"[3]؛ ويذكر لنا محمد الميلي مولده قائلا: "في مدينة "فور دي فرانس" عاصمة المار تنيك كان مولده"[4].

وعليه؛ فقد كان مولده في هذه الجزيرة، التي كانت بمثابة المكان الذي تناسب مع هذه الشخصية المتميزة بأعمالها، وإنتاجاتها، وإنجازاتها أيضا.

ويقول أحدهم عن حالته التي نشأ فيها في قوله: "ولد فانون في عائلة؛ حيث كان أبوه موظفا بالجمارك، وكان منصب الموظف في بلد كالمار تنيك يعتبر وضعا امتيازيبالنسبة للعامل الزراعي"[1].

---

[1]– فرانز فانون: لأجل الثورة الإفريقية، تر: ماري وآخر، دار الفارابي –بيروت، ط1، 2007، ص120–121.

[2]– المصدر نفسه، ص121.

[3]–المصدر السابق، ص122.

[4]–محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي– الجزائر، 2010، ص10.

وبهذا تتحدد لنا مولد فرانز فانون؛ الذي كان حدثا مهما؛ بمجيء هذه الشخصية التاريخية؛ التي تبقى اسما لامعا لرغم مرور السنين.

الفرع الثاني: أصله:

فرانز فانون حفيد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى جزر الأنتيل من إفريقيا، وكانت المار تنيك تشكل مع جزر الانتيل الصغرى منطقة شملتها السيطرة الفرنسية منذ القرن السابع عشر، ونظرا إلى السكان الأصليين لهذه الجزر قد أيدوا الان الأوربيين كانوا يترفعون عن العمل في مزارع قصب السكر فقد ازدهرت تجارة الرقيق لتزويد المعمرين البيض بما يحتاجونه من أيد عاملة.

ويتحدث لنا الميلي عن أصول فانون وحالهم قائلا: "ظل أبناء الافارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون من الاضطهاد، ويقومون من حين لآخر بثورات القمع بشدة، ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة وظهور النظريات الاندماجية؛ توقف ذلك التطور، وراح السكان يحملون بالمساواة المنطقة مع الأوروبيين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي ساهم فيها سكان المار تنيك إلى جنب سكان جميع المستعمرات الفرنسية، اتخذت بعض التدابير تهدف إلى إيجاد تقارب سطحي بين وضعية سكان المار تنيك وسكان الوطن الأم، وقد أدى ذلك؛ بالإضافة إلى محاولة النخبة المار تنيكية التنكر لماضيها وازنوجيتها إلى عرقلة الكفاح الشعبي"[1]

وعليه فهو يصف أحواله التي عاش فيها؛ بكل تفصيل، وحتى يذكر لنا كل الظروف المحاطة به، وكل هذا ساعدنا في معرفة شخصيته أكثر فأكثر.

[1]– محمد الميلي: المصدر السابق، ص10.

[1]– الميلي، المصدر السابق، ص10.

ويذكر لنا الميلي عن المعاناة التي تعانيها أصوله قائلا: "كان البيض، وهم بضعة آلاف من بين مائتي الف، يفرضون سيطرتهم على الجزيرة فيحققون بمزارعهم على الشياع، ويتزوجون فيما بينهم، ويتبادلون العون ويتكرون أرباح صناعة السكر، ويسيطرون على البنوك ومعظم التجارة لكن على الرغم من وجود ألوان متعددة من التمييز العنصري في جزر الانتيل التابعة للاستعمار الفرنسي؛ فقد نشأت ما يمكن أن يسمى "برجوازية زنجية"، وكانت هذه تبحث عن الاندماج والذوبان في الاطار الفرنسي أكثر مما تفكر في الاستقلال الوطني"[2]

وهذه الأحوال السائدة ما هي إلا ظروف كأنها كانت مقصودة لتنتج هذه الشخصية التاريخية؛ إن صح القول الكفاحية.

ووجدنا أحد المؤرخين يذكر أصل فرانز فانون في قوله: "ينتمي فانون إلى أصول إفريقية"[1]، كما أنه: "نشأ وسط عائلة برجوازية صغيرة من الطبقة البرجوازية المتوسطة في جزيرة المار تنيك"[2].

وعليه فكل تلك أقوال المؤرخين تقدم لنا صورة واضحة حول مولد وأصل فرانز فانون.

---

[2]– نفسه، ص11.

[1]– رابح لونيسي: فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية، مجلة عصور، ع1، جوان 2002، ص18.

[2]– فرانز فانون: معذبو الأرض، تر: سامي الدروبي وآخر، منشورات الجزائر، 2004، ص10.

المطلب الثاني: دراسته ومسيرته النضالية:

الفرع الأول: دراسته:

إن مشوار فرانز فانون في الدراسة طويل؛ حيث درس أول الطاف في الابتدائية؛ وبعدها انتقل إلى الثانوية، وتحصل على البكالوريا؛ التي حصل بسببها على منحة دراسية، وبعدها قرر إكمال دراسته بها، وكل هذا المشار الدراسي كما رأينا كان حافلا بالإنجازات التي حققها فانون، وفي هذا دلالة على اجتهاد هذه الشخصية، وحبها للدراسة، والعمل في ميدان تخصص بها.

وفي هذا يقول الميلي مفصلا: "فبعد إنهاء دراسته الابتدائية؛ انتقل المرحلة الثانوية، وحصل بعد نجاحه في البكالوريا على منحة دراسية بصفته محارب سابق، كما يقول أحد الكتاب عن سبب نيله هذه المنحة؛ بالإضافة إلى الخدمات التي قدمها في الحرب العالمية الثانية؛ حيث أنه أصبح محتك بالثقافة الفرنسية هذا ما جعله يكمل دراسته العليا في ليون بفرنسا سنة 1947"[3].

وعليه فإن هذه التجربة الدراسية جعلته يكتسب العديد من الخبرات الحياتية؛ التي صنعت منه هذا الرجل الكفاحي المتميز.

وقد قدم لنا أحد المؤرخين عن قراره في دراسة الطب بالجامعة الفرنسية، وإكمال دراسته بها في 29 نوفمبر 1951 يقول الكاتب: "قام بتحضير أطروحته وعرضها، ثم حضر بعدها لامتحان الداخلية لمستشفيات الطب النفسي، كان يتمحور الامتحان حول خمسة فروض تتعلق بعلم التشريح والفيزيولوجيا، الإدارة الاستشفائية، الأمراض الذهنية، والأمراض الداخلية، والنظافة الاستشفائية، وبعد نجاحه في الامتحان تحصل على شهادة طبيب نفساني"[1]

---

[3]– الميلي، مرجع سابق، ص12.

[1]– رابح لونيسي: المصدر السابق، ص19–20.

وعليه من هنا ابتدأت رحلته العملية لاحقا، والتي كان له الدور الكبير من خلال تحصله على تلك الشهادة.

ويضيف لنا أحد المؤرخين عن دراسته قائلا: "فانون لم يدرس فقط الطب؛ بل اهتم أيضا بالدراسات الفلسفية، كان يقرأ لعدة فلاسفة، وله مطالعات شملت الانثروبولوجيا، المسرح، وشارك في عدة مناقشات فلسفية وسياسية"[2].

ومنه يكشف لنا فرانز فانون كشخصية تمثلت بمواهب مختلفة، وتطلعات متنوعة، ومشاركات عديدة في مناقشات مختلفة.

وليس هذا فحسب فحتى قضية دراسته، ووصوله لهذه المرتبة العلمية قد كان قبلها قرار حاسم يرويه لنا الميلي عنه قائلا: "ومع تردد فانون على المدرسة الفرنسية تعزز نفوره من اللهجة المحلية وانفتحت عيناه على القيم البيضاء ممثلة في أبطال من أمثال "فيرسا جي توري كس" و"شار لمان" و"جان دارك" و"لامار تين"، ونفس الشخصيات التي كانت دروس التاريخ الفرنسي في جميع أنحاء المستعمرات، تفرض معرفتها على السكان الوطنيين"[1].

الفرع الثاني: مسيرته النضالية:

أنهى فانون كما ذكرنا في الجزئية السابقة دراسته متحصلا على شهادته في الطب النفسي، وبالتالي صار طبيبا نفسيا؛ لكن بغض النظر عن مشوار دراسته، كانت لفانون مسيرة نضالية إلى جانبها، وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في هذا الفرع بالذات؛ لما لها من أهمية كبيرة في صنع شخصيته.

[2]– عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطة– الجزائر، ط1، 2009، ص216.

[1]– الميلي: المصدر السابق، ص10–11.

وفي هذا ما يرويه لنا أحد الكتاب: "عندما أنهى فانون دراسته الابتدائية وانتقل إلى المرحلة الثانوية كانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت أراد فانون وهو في سن الثامنة عشر أن ينضم إلى رفاقه ليقاتل إلى جانب الحلفاء، هذا بعد اكتشافه لحقيقة الزنوجة؛ فقد كانت هذه المرحلة بداية عهد جديد له، ونظرا لكونه كان ميالا إلى العمل لم يكتف باتخاذه موقف نظر عاطفي لتأكيد زنوجته بل فكر للخروج من المار تنيك ليلتحق بقوات الحلفاء مثل الكثير من المار تينكيين"[2].

وهنا تبدو مسيرته النضالية واضحة في الدفاع عن أصوله الزنجية؛ التي لم يتمكن من إخفائها، رغم ما كان يمتاز به من ميوله للعمل النضالي.

كل تلك المسيرة النضالية كان يسعى من خلالها "للقتال مع القوات الفرنسية الحرة إلى جانب الأمريكيين، والإنجليز ضد ألمانيا النازية، بعد سقوط باريس النازية عام 1941م، وفي الحرب العالمية الثانية كان النزاع قائما بين الجنرال ديغول والمارشال بيتان، جرى نقاش حاد بين التلاميذ الملونين؛ فكان منهم من يرى أنه غير معني بهذه الحرب التي تهم البيض فقط لكن فانون كان له رأي آخر"[1]

وهذا موقف كانت له محددتاه لاحقا، والتي أثبتت أن رأيه صائبا، وأنه على حق في موقفه من الحرب العالمية الثانية.

وعلى حسب ما سجله بعض من رفاقه عن وجهة نظر فانون لتلك القضية؛ فيما ذكرناه في الفقرة السابقة؛ فقد رد على المقولة قائلا: "كلما تعرضت كرامة وحرية الإنسان للخطر نحن معنيون بها كلنا بيضا وسودا وصفرا، كلما كانت الحرية والكرامة مهددة في أي مكان؛ فأنا سأدافع دفاعا لا رجعة فيه"[2]

---

[2]– يحيى بن الوليد: خطاب ما بعد الاستعمار، جريدة الكلمة، ع16، أفريل 2008، ص14.

[1]– نوارة: المرجع السابق، ص229.

[2]– نفسه، ص230.

وبالتالي فهو يبرز وجهة نظره التي مفادها الدفاع عن كرامة الإنسان مهما اختلفت ألوانهم، وأصولهم؛ إلا أن الكرامة واحدة.

وننقل هنا قول أحد المؤرخين متابعا لنا مسيرة فانون النضالية في قوله: "التحق فانون بالقوات الفرنسية الحرة بجزيرة الدو منيك المجاورة بتاريخ 13 جويلية 1943، وتجد فانون في الجيش الفرنسي، وباشر مهنته الجديدة، وانضم يوم 12 مارس 1944 بعد إرجاعه إلى وطنه إلى الفوج الأنثيلي رقم خمسة الذي تم تكوينه لتحرير فرنسا من النازية، وقد التحق هذا الفوج بمدينة الرباط "المغرب" يوم 30 مارس من نفس السنة، ثم انتقل إلى مكناس وشرشال وبجاية، وقبل الإنزال بتولون في 29 جوان 1944، وأصيب بجروح خلال عبور نهر الراين"[1]

وبهذا فإن مسيرة فانون النضالية طويلة مرت بالعديد من المتقلبات المختلفة؛ لتهيأ الطريق أمام فانون بشكل أكثر؛ ليكون رمزا من رموز الكفاح في التاريخ.

ويضيف أحد الباحثين في مسيرته النضالية قائلا: "في 15 نوفمبر 1944 تلقى أثر ذلك الحادث تكريما في مدينة روون، وفي مناسبة لتحرير فرنسا تحصل على وسام لشجاعته وقعه العقيد راوول سالان"، وعاد فانون على الما تينيك يوم 12 سبتمبر 1945 أين تم إنهاء مدة تجنيده بتاريخ 12 جانفي 1946"[2]

وعليه فقد تم تكريمه إثر الإصابات التي حصلت له بوسام لشجاعته، والتي تميزت بإنهاء تجنيده، وهنا اللحظة الفاصلة في مسيرته النضالية.

إن مشاركة فانون إلى جانب قوات الحلفاء حطمت أوهامه فيما يخص الوطن الأم فرنسا، وأظهرت رسالة وجهها على والده في شهر أفريل 1945؛ التي تم العثور عليها بعد وفاة والدته سنة 1980، هذه الرسالة يقول فيها فانون أنه "كان مخطأ لا شيء هنا يبرر هذا

[1]– محمد الميلي: المصدر السابق، ص22.

[2]– المصدر نفسه، ص22-23.

القرار المفاجئ الذي جعله يدافع عن مصالح المزارع عندما لا يهتم هو بها"[1]؛ فمشاركته في الحرب العالمية الثانية جعلته يفهم جيدا أن الكثير من بني جلدته لم يكن يهمهم التحرير من الاستعمار والاستقرار كونهم ازدادوا الاندماج مع البعض؛ فلا يمكن ان يحصل شعب على الاستقرار والحرية إذا نقصته الإرادة في ذلك"[2].

[1]– عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، دار الهدى– بيروت، ج1، ص533.

[2]– المرجع نفسه، ص534.

المطلب الثالث: وفاته:

إن وفاة فرانز فانون كانت بمثابة الفاجعة في قلوب كل الذين التحق بثورتهم؛ فقد لعب دورا بارزا فيها؛ بقي مخلدا اسمه فيها رغم وفاته.

وفي هذا يحدثنا أحد الباحثين قائلا: "أصيب فانون بسرطان في الدم سنة 1961؛ فقامت جبهة التحرير بإرساله إلى الاتحاد السوفيتي لاستشارة الاخصائيين لكنه عاد إلى تونس دون بارقة آمل في الشفاء، وفي الخامسة والثلاثين من عمره عرف بأنه سيموت حيث قال: "فهمت أنني لن أعيش أكثر من ثلاث أو أربع سنوات؛ فكان يجب علية أن أسرع في أن أقول وأفعل الحد الأقصى"[3]

وهنا يظهر لنا دور الثورة الجزائرية على رأسها جبهة التحرير بالذات بالوقوف على علاجه؛ لكن دون جدوى فقد صرح لهم الاخصائيين بأنه سيموت.

وفي هذا يفصل لنا أحد الباحثين في قضية وفاة فانون بعد مرضه قائلا: "في يوم 6 ديسمبر 1961م في واشنطن من عمر يناهز ست وثلاثين عاما"[1]، "تمنى فانون قبل موته أن يدفن في الجزائر مع الشهداء الذين كان يعتبرهم إخوته في الكفاح، وفي 11 ديسمبر 1962 تم نقل جسده من واشنطن إلى مطار "العونية" بتونس العاصمة أين كرمه الوفد الخارجي للحكومة الجزائرية المؤقتة، ودفن فانون يوم 12 ديسمبر في غابة سيفانا بالغرب من قرية "عين السلطان" التي تنتمي على التراب التونسي بعد ترسيم الحدود مع تونس في سنة 1965 ثم نقل رفات فانون إلى الجزائر مرة أخرى، ودفن بمقبرة "عين الكرمة" بولاية الطارف، وقد أعطت له ولزوجته الجنسية الجزائرية، واعتبرته الجزائر أحد رموز الثورة الجزائرية ومثقفيها"[2]

---

[3]– فرانز فانون: معذبو الأرض، المصدر السابق، ص12.

[1]– فانون: المصدر السابق، ص12–13.

[2]– فرانز فانون: لأجل الثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص74.

وبهذا نختم هذا المبحث، والذي ظل فانون باسمه لامعا في التاريخ النضالي، ورمزا له إلى يومنه هذا رغم أنه مضى من وفاته العديد من السنين.

المبحث الثاني: مآثر فرانز فانون من خلال بعض كتاباته وما قيل عنه:

المطلب الأول: مآثر فرانز فانزن من خلال بعض كتاباته:

إن مجيء فرانز فانون إلى الجزائر قد اقترن إحساسه بأن العدو والمُسْتَعْمِرَ هذا هو نفسه الرجل الأبيض الذي يطاردها في كل مكان وهو نفسه الذي يملأ أذنيه وقلبه بمدى التأثير الذي يعلو به عليه، ولم يجد في الجزائر في الوضع الزنجي، وإنما وجد نفسه أمام العدو المُسْتَعْمِر؛ الذي كان بالنسبة إليه شخصيا خالق الوضعية الزنجية، ومؤسسها لذلك فقد أحل غضبته السوداء محل إحساس الجزائري بالوطنية وأصبح بين ليلة وضحاها مواطنا جزائريا يدين بحرية الجزائر، واستقلالها لأنها حريته هو نفسه إزاء عدو موحد، وبهذا كان لهم المشترك عنده، وعند الجزائريين ليس الوضعية، وإنما الاتقاء عند الخالق هذه الوضعية الزنجية في صورة جديدة وقناع جديد هو قناع الرجل المُسْتَعْمِرُ الغاصب[1].

1- علم اجتماع الثورة:

إن الموقف الاستعماري يجعل الأشياء تأخذ طابعا خاصا، وعلى أولئك الذين يحاولون أن يستخلصوا الشخصية الجزائرية الأساسية أو يعمدون إلى معرفة نفسية المواطن الأصلي...على أولئك جميعا أن يفهموا فهما واضحا بأن ذلك غرور لا يمكن تحقيقه في صورة علمية واقعية أثناء فترة الصراع من أجل التحرير الوطني لشعب مختلف ومن ذلك الوقت الذي يتطلع فيه جسم الأمة أن يخلق لنفسه طريقه بدينا مبكية متماسكة من أجل الحياة، ويصبح كل فعل من الأفعال ممكنا، وبالتالي فلا يمكن في هذه اللحظات المليئة بالصراع أن نستكشف نمطا موحدا للشخصية الجزائرية، وإنما سنجد أن هذه الشخصية الجزائرية كما تتمثل في عهد الثورة وحرب التحرير قد سمحت لنفسها القيام بأي تصرف محتمل الوضوح من أجل بلوغ الهدف النهائي[2].

---

[1]- الحفيري، مرجع سابق، ص20، 22 بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، ص20-21.

[2]- نفسه، ص43.

ويقول فرانز فانون في مقدمة كتابه "علم اجتماع الثورة" sociologie d'une revolution

:" رجال الجزائر ونساؤها اليوم لا يشبهون اليوم رجال ونساء عام 1830؛ فالجزائر القديمة قد انتهت عن الدم البريء الذي يتفجر من الشرايين المتنكرة فوق التراب الوطني قد رفع إلى الوجود إنسانية جديدة[1].

2- بشرة سوداء وأقنعة بيضاء:

وهو أول كتاب له يبن فيه تأثيرات العنصرية في شخصية الزنوج المغلوبين على أمرهم، وتكمن قوة الكتاب في المسألة كاختصاصي، ومثقف ملتزم؛ صدر عام 1952 في باريس، ولفت الأنظار للكاتب؛ فسلطت الأضواء على فانون مباشرة عد تأليفه "كتاب بشرة سوداء وأقنعة بيضاء" عام 1952، وكان لهذا الكتاب ردود فعل كثيرة في الأواسط الغريبة؛ التي انفعلت، والتي امتلأت انفعالا، وشحنة، وأبت إلا أن تصرخ دون هوادة، ولا يمكن أن يثور عليها.

3- العام الخامس للثورة الجزائرية؛ أي سوسيولوجيا الثورة:

صدر في باريس عام 1959[2]، ومن بعض ما كتب في هذا الكتاب حجاب يخلع، وحجاب يرتدي، وأصبح الحجاب فنا في التمويه ووسيلة كفاح[35].

ولم تفهم السلطات الفرنسية في الحال الأهمية الفريدة لهذا التعبير إزاء المراد لدى الشعب الجزائري؛ فإن مواقف المقاومة القديمة في نطاق العائلات تتفجر، وقد أصبحنا نرى

[1]– سلسلة ملتقيات– كفاح المرأة الجزائرية– المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر د. س. ف، ص236.

[2]– الكبير، المرجع السابق، ص23.

[3]– فرانز فانون، نمو سوسيولوجية ثورة ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت– لبنان، د. ط، 1970، ص50.

في إحدى الثورات جماعات من العائلات تتسمر أنظارهم أباء وأمهات، وأخوات، وهم جالسون المرفق على المرفق على إبرة الراديو؛ انتظار لصوت الجزائر.

4- معذبو الأرض:

أملاه على زوجته في أيامه الأخيرة؛ حيث كانت تطبع على ما يمليه على الآلة الرافنة بحضور أصدقاء كان يستدعيهم للحضور فرغ منه في شهر جويلية 1961 قطيع في ربيع عام 1962 إبان وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا؛ وضع مقدمته "جان بول سارير" وقد نال شهرة ونجاحا كبيرين مع أنه أملاه، وهو خائف من أن يحول الموت دون إتمامه، وقد أرسله للناشر دون مراجعة[1].

وسنتوسع فيه من خلال ما يأتي لاحقا[2].

5- من أجل إفريقيا:

ظهر بعد وفاته، وهو مجموعة مقالات معظمها في صحيفة المجاهد، وفي موضع من كتاب "من أجل إفريقيا" يعاتب الفرنسيين؛ الذين ينددون فقط بالتعذيب، ولكن بالمقابل يؤيد بقاء الجزائر مُسْتَعْمَرَة؛ فيقول فانون: "الناس منذ زمن قريب صاروا يتحدثون بكثرة عن التعذيب الذي سلطه الجنود الفرنسيون على المواطنين الجزائريين، وقد نشرت في هذا الصدد نصوص متدفقة هينة كما نشرنا مقارنات تاريخية بين هذه الألوان من التعذيب، وبين نظائرها من الماضي، وقد نددت شخصيات أجنبية من بينها فرنسيون كثيرون هذا الأسلوب الوحشي في الاستنطاق على اننا ندقق النظر في الجهاز الاستعماري؛ فنجد أن الفرنسي الذي يثور ضد التعذيب فقط، ويندد بالتعذيب فحسب، ليس منطقيا معقولا حقيقة أن يثور ضد الجهاز الاستعماري بأكمله لا أن يؤيد بقاء الاستعمار بالجزائر معناه بقاء التعذيب بها ليس التعذيب خطأ استعماري يقتضي ويستلزم وجود التعذيب والتقتيل وكل أنواع الوحشية إن التعذيب هو

[1]– الكبير، مرجع سابق.

[2]– نفسه.

الشكل الطبيعي الذي تتخذه كل علاقة بين السيد المحتل وبين العبد الذي سلط عليه الاحتلال وهذه الحقيقة يفهمها البوليس الفرنسي جيدا[1].

6- فانون في جريدة المجاهد:

دامت مساهمة فانون في جريدة المجاهد من سبتمبر 1957 إلى جانفي 1960، وهي الجريدة التي ظهر أول عدد منها في جوان 1956 باللغة العربية والفرنسية وأول مقال لفانون ظهر في سبتمبر 1957؛ أي لما كان مقر جريدة المجاهد في تيطوان بالمغرب، وما يلفت الانتباه هو أن هذه الزاوية يصعب التمييز بين مقالات فرانز فانون، والمقالات الناطقة باسم الجريدة أو مسؤول التوجيه السياسي في نفس السنة حول مقر الإدارة في المغرب إلى تونس، وتبقى طبيعة مشاركة فانون في جريدة المجاهد السرية موضوعا للتساؤل حول مسؤولياته في التوجيه السياسي للجريدة وخاصة إذا كنا نعلم العلاقة الحميمية التي كانت تجمعه بأعضاء جبهة التحرير الوطني.

[1]– رماضنة معفر، أنواع أساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي بالجزائر إبان الثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، باتنة، 2006/2005، ص115.

المطلب الثاني: ما قيل عن فرانز فانون:

يقول محمد يزيد رفيقه في الجهاد: "لقد شارك فانون في الثورة الجزائرية وناضل في الثورة الجزائرية ضمن إطار جبهة التحرير الوطني، وهذا النضال، وتلك المشاركة هي التي يعاني منها العالم الثالث؛ ثم أنه بفضل الصفة التي جعلته يكتشف التمثيلية لجبهة التحرير الوطني التي كان يتمتع بها استطاع فانون أن يتعرف على التجارب الثورية في إفريقيا أولا ثم آسيا وأمريكا اللاتينية ثانيا"[1].

ويكمل قوله أيضا فيه: "إن أجود مؤلفاته السياسية كثيف خلال حرب التحرير الوطنية، لقد كان فرانز فانون واحد من المناضلين الذين عايشوا الثورة الجزائرية، وتعلموا بأفكارها واستماتوا لأجلها كدا فهي لم، ولن تساهم تماما كما لم تنسى شهداءها وما كون مؤسسات هامة في الجزائر تعمل للآن اسمه إلا أحد الدلائل على كون فانون لم يكن ينتمي إلى العالم الثالث فحسب ولكنه قبل كل شيء واحدا من أبناء الثورة الجزائرية...قال سيمون دي بوفار من أجل الصداقة التي كانت بيننا لقد شعرنا نحوه وكذلك ماذا يستطيع أن يقدم لمستقبل الجزائر إفريقيا حقيقة إنه كان رجلا فذ"[2].

وجاء العقيد هواري بومدين في أفكار فرانز فانون الثورية التفسير الموضوعي والقراءة السياسية لجنوده والمعالجة الواقية للواقع الجزائري كما كان التعبير الكامل عن حماسه الوطني وقناعته الخاصة وحياته الشخصية خاصة وأنه للقائد ذو الانتماء الفلاحي الذي يشرف على جيش 70 في المئة من جنوده فلاحين من الريف الجزائري.

اهتم هواري بومدين بأفكار فرانز فانون والتي شغلت المادة الأساسية في الثقافة السياسية لجنوده إلى جانب مؤلفات شي غيفارا ولينين وماوتسي تونغ التي كانت مراجع متوفرة في مكتبة قيادة الأركان العامة بغار دامو حيث يهتم شخصيا ويسجل أن الصحفيين الذين زارو

[1]– عمراني عبد المجيد، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954–1962، دار الشباب، ط1، باتنة د. س. ن.

[2]– نفسه.

بومدين 1960 بغار دامو وجدوه يحتفظ في مكتبه الخاص بصورة فرانز فانون إلى جاب صورة الأمير عبد القادر رمز للدولة الجزائرية قال جون بيارميسي أستاذ حافظ على ثقافتنا كأفارقة شخصيا تأثرت كثيرا بكتابات فانون خاصة كتابه العنون معذبو الأرض"[1].

المطلب الثالث: بعض مقتطفات من كتب فرانز فانون:

لقد اتخذت أوروبا ذهبا ومواد أولية من البلاد المُسْتَعْمِرَةَ من أمريكا اللاتينية والصين وأفريقيا فمن هذه القارات التي تعتدي عليها أوروبا هذه الأحجار الكريمة والبترول والحرير والقطن والأخشاب، والمنتجات المحلية...إن أوروبا إنما خلقها العالم الثالث والثروات التي تتخم أوروبا اليوم إنما سرقتها من الشعوب المتخلفة.

إن طبقة الفلاحين في البلاد المُسْتَعْمَرَةُ هي طبقة الثورة الوحيدة إن هذه الطبقة لا تخشى أن تحسر بالثورة شيء بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شيء والفلاح المنبوذ الجائع هو الإنسان المستغل الذي يكتشف قبل غيره لأن العنف هو الوسيلة المجدية إنه امرئ ليس له حل وسط ولا مجال عنده للتسوية والقوة وحدها هي التي تحدد في رأيه بقاء الاستعمار أو زواله إن هذا المشغل يدرك أن تحرره يقتضي استعمال جميع الوسائل وأولها القوة أعطت جبهة التحرير الوطني عام 1956 في منشور شهير لها "إن الاستعمار لا يرفع يده إلا إذا جعلت السكين في عنقه...كان هذا المنشور ينطق بلسان جميع الجزائريين ويفصح عما رسخ في أعماقهم وضمائره من ان الاستعمار ليس له مفكرة ليس جسما مزودا بعقل إنما هو عنيف وهائج لا يمكن أن يخضع لعنف أقوى[2].

[1]– سيدي علي نصيرة، أسطورة القرن العشرين، تاريخ الزيارة 2 ماي 2013، http//www/dyatairess.com

[2]– الكبير، مرجع سابق، ص25–28، فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية.

المبحث الثالث: علاقة فانون بالثورة الجزائرية:

فانون الشخصية الفريدة من نوعها؛ التي قدمت الكثير من المزايا سواء العملية، أو الفكرية؛ وقد تكلمنا عن هذه الشخصية في المطالب السابق، وأشرنا إلى علاقة فانون بالثورة الجزائرية؛ فيما نقلناه عن أحد المؤرخين له؛ إذ كانت علاقة جاءت بأسباب كثيرة على رأسها احتكاك فانون بهذه الثورة بطبيعة عمله كما ذكرنا سابقا؛ إذ أنه كان طبيبا نفسيا؛ عايش الثوريين الجزائريين، وعرف بحجم ما خلفه الاستعمار في نفوسهم، وحتى من خسائر تكبدت في قلوبهم؛ لتجعلهم مرضى كالمنكوبين، والأرامل.

إن عملية تحدد علاقة فرانز فانون بالثورة الجزائرية لا تتحدد بتعبير، أو بآخر فحسب؛ بل هي مسيرة هيأتها الظروف، ووضحتها المواقف، وبرهنت عليها الأيام؛ التي قضاها فانون في خدمة الثورة الجزائرية؛ بكل ما توفر لديه من إمكانيات.

وفي هذا يقول أحد الباحثين: "صارت مواقف فانون أكثر عدائية للاستعمار خصوصا رأى عمى الحكومة الاشتراكية بفرنسا في رغبة الشعب الجزائري بالاستقلال، وعليه أقام فانون صلات مع حركة الصدقات الجزائرية"، وبالتالي فبداية علاقة فانون بالثورة الجزائرية قد بانت جذورها من هذه النقطة المرحلية بالذات، وفي "خلال هذه الفترة طلب منه الاعتناء ببعض المجاهدين الذين كانوا يعانون من أمراض عصبية، وهكذا عبر التداخل بين العلاج النفسي والالتزام السياسي انخرط فانون في نضال الشعب الجزائري من أجل استقلاله"[1].

وعليه فإن انخراط فانون في الثورة الجزائرية كان راجعا لطبيعة علاقته الملازمة، والمنسجمة في الوسط المعاش في الجزائر، وكل التجارب التي عاشها فانون في مسيرة علاجه لأبناء هذا البلد؛ كان له أثر في بناء علاقته بالثورة الجزائرية.

[1]- عبد الهادي الجوهري: معجم الاجتماع، مكتب جامعي حديث- الإسكندرية، 1998، ص39.

وفي هذا يقول الباحث معقبا على انضمام فانون قائلا: "ربما قد يستغرب الكثير من انضمام فانون إلى الثورة الجزائرية ومساندته شعبا غير شعبه ودفاعه عن قضية غير قضيته"[1]، ويذكر أحد المؤرخين العوامل التي جعلته ينضم إلى الثورة قائلا: "تأثر فانون بالفلسفة الغربية التي كانت تتعاطف مع قضية أي إنسان، واقتناعه بحقيقة الاستعمار، وتكوينه الفكري المناهض للاستعمار"[2].

وهذا بصورة أو بأخرى إن دل على شيء؛ إنما يدل على شخصية فانون، ومدى وعيها، ونضجها الفكري؛ الذي جعله يقف مع الحق، وفي صف الدفاع عن إنسانية الإنسان؛ بما أمكنه ذلك.

كما أن أحد الباحثين يعلل انضمامه أيضا قائلا: "كانت الثورة الجزائرية قد تجاوزت النطاق المحلي، وأصبحت موضوع تعاليق السياسة والدبلوماسية في انحاء العالم بعد اندلاع الكفاح المسلح كان لفانون نشاطات سياسية سرية؛ حيث كلفه النظام بجمع الادوية وإرسالها إلى المقاتلين في الجبال سنة 1956م"[3]، ويكمل قوله عن عوامل انضمام فانون بأنه: "تبقى عوامل أخرى أدرجها بعض الباحثين هي أكثر أهمية، والتي تتمثل في حالة فانون النفسية وتبرز من خلال رسالة الاستقالة من منصبه في نهاية 1956 حيث وجه رسالة مفتوحة إلى المفوض العام...يعلن فيها استقالته من وظيفته بالمستشفى"[1]

إن في هذه الرسالة دلالة على مدى تأثر الرجل بالقضية الجزائرية، ومدى اقتناعه التام بانخراطه فيها، وما هذا الإعلان دلالة حية على ذلك.

---

[1]– نوارة: المرجع السابق، ص299.

[2]– فرانز فانون: معذبو الأرض، المصدر السابق، ص11.

[3]– نوارة حسين: المرجع السابق، ص230.

[1]– عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دار الطباعة الشعبية للجيش– الجزائر، 2007، ص19.

أوضح فانون في رسالة استقالته "احتجاجه على السياسة التي حولت عدم المساواة والقتل إلى مبادئ قانونية موجهة ضد الجزائريين أصحاب الأرض الشرعيين؛ هذه السياسة التي تطمس شخصيتهم، وتذلهم في قلب وطنهم"[2]، ويقول هذا الباحث أيضا عن علاقته بالثورة قائلا: "في الثورة التحريرية كان له أول اتصال له مع العديد من مسؤولي الثورة من بينهم بي يوسف بن خدة، كما أنه أثر على بعض الشخصيات في الالتحاق بالثورة الجزائرية"[3]

قبل انضمام فانون للثورة إذن كان له العديد من الاتصالات؛ كما أنه يظهر دوره من أول وهلة التحاقه؛ إذ كان له التأثير الواضح على بعض الشخصيات بهذه الثورة التي تحمل في طياتها كل وجوه الكفاح؛ لأجل الاستقلال من المستعمِر.

ويذكر لنا أحد الباحثين بشكل من التفصيل عن علاقة فانون بالثورة، ودوره الفعال فيها قائلا: "تابع فانون نشاطه الفكري على صعيدين مختلفين؛ حيث واصل في نطاق اختصاصه دراسته للحالات العامة التي كان يعانيها المرضى، كما كان بوصفه سياسيا ومناضلا ملتزما يعمل على توسيع ثقافته السياسية وتعميقها"[1].

ومنه يظهر واضحا الدور الذي لعبه فانون فور التحاقه بالثورة؛ حيث احتفظ فيها بدوره كطبيب نفسيا؛ يعالج بعض الحالات الطارئة، وأيضا كمناضل يوسع من ثقافته أكثر فأكثر؛ لخدمة الثورة الجزائرية.

لكن ما لبث أن جاء قرار طرد فانون من التراب الجزائري يذكر لنا أحداثه أحد الباحثين قائلا: "ثم جاء قرار طرد فانون من التراب الجزائري في مطلع سنة 1957، بعدها أمضى

---

[2]– نفسه، ص19.

[3]– محمد الميلي: المصدر السابق، ص23–24.

[1]– نوارة حسين: المرجع السابق، ص230.

ثلاثة أشهر في فرنسا، على امتداد الفصل الأول من سنة 1957، لم ينجح خلالها في تحريك موجة تعاطف حقيقية مع قضية الاستقلال الجزائري"[2].

وكان لهذا القرار بمثابة الصاعقة على فانون الذي ما طال انضمامه، وبقائه إلى جانب الثورة الجزائرية، وقد عرقل هذا القرار في إظهار موجات التعاطف الحقيقية لقضية الاستقلال الجزائرية.

ولكن رغم ذلك إلا أن لفانون دور كبير في الثورة الجزائرية يذكره أحد المؤرخين قائلا: "لم يكن دور فانون أكثر من دور المثقفين الذين وظفتهم الثورة في إطار استراتيجية عامة؛ لم يشتركوا في وضعها ولو بالاستشارة، والملاحظ في قبول القيادة لفانون في صفوفها من أجل كسب عالم الزنوج في إفريقيا وأمريكا اللاتينية، والولايات المتحدة الأمريكية، رغم تأثيرهم الضعيف في السياسة العالمية، كما أن فانون كان أداة فعالة للثورة في اكتساب المثقفين الفرنسيين إلى جانب الثورة بحكم ثقلهم في صناعة الرأي العام الفرنسي من جهة وتشكيلهم جماعة ضغط مؤثرة على صناعة قرارات الحكومة من جهة أخرى"[1].

إن عملية تحدد علاقة فرانز فانون بالثورة الجزائرية لا تتحدد بتعبير، أو بآخر فحسب؛ بل هي مسيرة هيأتها الظروف، ووضحتها المواقف، وبرهنت عليها الأيام؛ التي قضاها فانون في خدمة الثورة الجزائرية؛ بكل ما توفر لديه من إمكانيات.

وفي هذا يقول أحد الباحثين: "صارت مواقف فانون أكثر عدائية للاستعمار خصوصا رأى عمى الحكومة الاشتراكية بفرنسا في رغبة الشعب الجزائري بالاستقلال، وعليه أقام فانون صلات مع حركة الصدقات الجزائرية"، وبالتالي فبداية علاقة فانون بالثورة الجزائرية قد بانت جذورها من هذه النقطة المرحلية بالذات، وفي "خلال هذه الفترة طلب منه الاعتناء ببعض

[2]– نفسه، ص230.المرجع نفسه، ص230.

[1]– محمد الميلي: المرجع السابق، ص24.

المجاهدين الذين كانوا يعانون من أمراض عصبية، وهكذا عبر التداخل بين العلاج النفسي والالتزام السياسي انخرط فانون في نضال الشعب الجزائري من أجل استقلاله"[2]

وعليه فإن انخراط فانون في الثورة الجزائرية كان راجعا لطبيعة علاقته الملازمة، والمنسجمة في الوسط المعاش في الجزائر، وكل التجارب التي عاشها فانون في مسيرة علاجه لأبناء هذا البلد؛ كان له أثر في بناء علاقته بالثورة الجزائرية.

وفي هذا يقول الباحث معقبا على انضمام فانون قائلا: "ربما قد يستغرب الكثير من انضمام فانون إلى الثورة الجزائرية ومساندته شعبا غير شعبه ودفاعه عن قضية غير قضيته"[3] ويذكر أحد المؤرخين العوامل التي جعلته ينضم إلى الثورة قائلا: "تأثر فانون بالفلسفة الغربية التي كانت تتعاطف مع قضية أي إنسان، واقتناعه بحقيقة الاستعمار، وتكوينه الفكري المناهض للاستعمار"[1]

وهذا بصورة أو بأخرى إن دل على شيء؛ إنما يدل على شخصية فانون، ومدى وعيها، ونضجها الفكري؛ الذي جعله يقف مع الحق، وفي صف الدفاع عن إنسانية الإنسان؛ بما أمكنه ذلك.

كما أن أحد الباحثين يعلل انضمامه أيضا قائلا: "كانت الثورة الجزائرية قد تجاوزت النطاق المحلي، وأصبحت موضوع تعاليق السياسة والدبلوماسية في انحاء العالم بعد اندلاع الكفاح المسلح كان لفانون نشاطات سياسية سرية؛ حيث كلفه النظام بجمع الادوية وإرسالها إلى المقاتلين في الجبال سنة 1956م"[2]، ويكمل قوله عن عوامل انضمام فانون بأنه: "تبقى عوامل أخرى أدرجها بعض الباحثين هي أكثر أهمية، والتي تتمثل في حالة فانون النفسية

---

[2]– عبد الهادي الجوهري: معجم الاجتماع، مكتب جامعي حديث– الإسكندرية، 1998، ص39.

[3]– نوارة: المرجع السابق، ص299.

[1]– فرانز فانون: معذبو الأرض، المصدر السابق، ص11.

[2]– نوارة حسين: المرجع السابق، ص230.

وتبرز من خلال رسالة الاستقالة من منصبه في نهاية 1956 حيث وجه رسالة مفتوحة إلى المفوض العام...يعلن فيها استقالته من وظيفته بالمستشفى"[3]

إن في هذه الرسالة دلالة على مدى تأثر الرجل بالقضية الجزائرية، ومدى اقتناعه التام بانخراطه فيها، وما هذا الإعلان دلالة حية على ذلك.

أوضح فانون في رسالة استقالته "احتجاجه على السياسة التي حولت عدم المساواة والقتل إلى مبادئ قانونية موجهة ضد الجزائريين أصحاب الأرض الشرعيين؛ هذه السياسة التي تطمس شخصيتهم، وتذلهم في قلب وطنهم"[1] ويقول هذا الباحث أيضا عن علاقته بالثورة قائلا: "في الثورة التحريرية كان له أول اتصال له مع العديد من مسؤولي الثورة من بينهم بي يوسف بن خدة، كما أنه أثر على بعض الشخصيات في الالتحاق بالثورة الجزائرية"[2].

قبل انضمام فانون للثورة إذن كان له العديد من الاتصالات؛ كما أنه يظهر دوره من أول وهلة التحاقه؛ إذ كان له التأثير الواضح على بعض الشخصيات بهذه الثورة التي تحمل في طياتها كل وجوه الكفاح؛ لأجل الاستقلال من المستعمِر.

ويذكر لنا أحد الباحثين بشكل من التفصيل عن علاقة فانون بالثورة، ودوره الفعال فيها قائلا: "تابع فانون نشاطه الفكري على صعيدين مختلفين؛ حيث واصل في نطاق اختصاصه دراسته للحالات العامة التي كان يعانيها المرضى، كما كان بوصفه سياسيا ومناضلا ملتزما يعمل على توسيع ثقافته السياسية وتعميقها"[3].

---

[3]– عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دار الطباعة الشعبية للجيش– الجزائر، 2007، ص19.

[1]– حيفري، مصدر سابق، ص19.

[2]– محمد الميلي: المصدر السابق، ص23–24.

[3]– نوارة حسين: المرجع السابق، ص230.

ومنه يظهر واضحا الدور الذي لعبه فانون فور التحاقه بالثورة؛ حيث احتفظ فيها بدوره كطبيب نفسيا؛ يعالج بعض الحالات الطارئة، وأيضا كمناضل يوسع من ثقافته أكثر فأكثر؛ لخدمة الثورة الجزائرية.

لكن ما لبث أن جاء قرار طرد فانون من التراب الجزائري يذكر لنا أحداثه أحد الباحثين قائلا: "ثم جاء قرار طرد فانون من التراب الجزائري في مطلع سنة 1957، بعدها أمضى ثلاثة أشهر في فرنسا، على امتداد الفصل الأول من سنة 1957، لم ينجح خلالها في تحريك موجة تعاطف حقيقية مع قضية الاستقلال الجزائري"[1].

وكان لهذا القرار بمثابة الصاعقة على فانون الذي ما طال انضمامه، وبقائه إلى جانب الثورة الجزائرية، وقد عرقل هذا القرار في إظهار موجات التعاطف الحقيقية لقضية الاستقلال الجزائرية.

ولكن رغم ذلك إلا أن لفانون دور كبير في الثورة الجزائرية يذكره أحد المؤرخين قائلا: "لم يكن دور فانون أكثر من دور المثقفين الذين وظفتهم الثورة في إطار استراتيجية عامة؛ لم يشتركوا في وضعها ولو بالاستشارة، والملاحظ في قبول القيادة لفانون في صفوفها من أجل كسب عالم الزنوج في إفريقيا وأمريكا اللاتينية، والولايات المتحدة الأمريكية، رغم تأثيرهم الضعيف في السياسة العالمية، كما أن فانون كان أداة فعالة للثورة في اكتساب المثقفين الفرنسيين إلى جانب الثورة بحكم ثقلهم في صناعة الرأي العام الفرنسي من جهة وتشكيلهم جماعة ضغط مؤثرة على صناعة قرارات الحكومة من جهة أخرى"[2]

كل هذا الاحتكاك تولد عنه روح بالإنسانية رغم أن فانون لم يكن جزائريا كما ذكرنا عن أصوله فيما سبق؛ إلا أنه قدم الكثير لهذا الشعب، ولثورته المجيدة، وكل طبيعة هذه العلاقة هي راجعة للأسباب التي ذكرناها سابقا، وسنتعرف بشيء من التفصيل في هذا المبحث من

[1]– حسين، مرجع سابق، ص230.المرجع السابق، ص230.

[2]– محمد الميلي: المرجع السابق، ص24.

خلال مطالبه على طبيعة هذه العلاقة، وكيفية امتدادها، وأهم ما عايشه فيها من خلال المطالب الموالية.

المطلب الأول: فانون بالمصحة العقلية بالبليدة 1953-1956:

ارتبط اسم مدينة الورود البليدة منذ عقود بمستشفى تاريخي ظل إلى زمن قريب صرحا عملاقا، ارتبط اسمه بالأخصائي الكبير المنخرط في الثورة الجزائرية "فرانز فانون"، وما اهله لأن يصبح رائدا بين المشافي في القارة السمراء والوطن العربي، والحقيقة التاريخية تقر أن المستشفى أو ما يشبه المدينة الصحية عرف مجده الأول مع سنوات الخمسينيات من القرن الماضي، على يد مؤسسه الطبيب فرانز فانون.

يقول أحد الباحثين: "فرانز فانون اهتدى إلى إخراج المريض من عزلته ومرضه وغرس فيه إدراك ما يحيط به ويعي عامل الزمن، واستطاع مع فريق من العاملين أن ينجح في فكرته وتطورت مع الأيام، وأصبح المريض يعيش العلاج الفيزيائي بالذهاب إلى ورشات العمل المستحدثة بعيدا نوعا ما عن العلاج الكيميائي"[1].

ومن هنا يبرز دور فرانز فانون مع فريقه في مستشفى المصحة العقلية بالبليدة؛ حيث طور من طرق العلاج فيه؛ بما يوفر راحة للمرضى.

وقد أصبح المستشفى بأفكار فانون "عبارة عن ورشات يمارس فيه المصابون بأمراض عقلية حرفا متعددة كالنجارة، الحدادة، صناعة الخزف بالإضافة إلى مشتلة لغرس الزهور والنباتات للتزيين ومزرعة ومكتبة ومطبعة تصدر جريدة...كل ذلك تكفل حقيقي بالمصابين بالأمراض العقلية وأصبح المشفى كل متكامل"[1]

[1]– لينة ياسمين، مستشفى فرانز فانون بالبليدة صرح صحي للتكفل بالأمراض العقلية، مجلة الأبحاث الطبية، ع51، البليدة، الاثنين 13 أكتوبر 2014، ص134.

[1]– ياسمين، مرجع سابق، ص134-135.

وعليه ففانون من هنا يظهر لنا الشخصية التي خدمت المرضى في المصحة العقلية بالبليدة؛ بتوفير مختلف الطرق؛ لإخراجهم مما يعانوه.

ويحكى العارفون بتاريخ مستشفى "فرانز فانون" وعما تقاعدوا وتوارثوا تلك الحقائق؛ "أن "فراز فانون" وجد في العلاج بالعمل دواء ليس له بديل؛ يكمل الدواء دواء كيميائي، وكان بين ثنايا هذا الصرح الصحي العظيم مجتمع صغير من المرضى جمعتهم بدرجة أولى المزرعة لفلاحة الأرض، والفرقة الموسيقية والرياضية؛ التي كان ينشطونها بأنفسهم والمطبعة التي كانوا من خلالها يصدرون جريدتهم للمطالبة وانتقاد أوضاعهم"[2]

ومن هنا يتحدد لنا دور فرانز فانون الكبير في المصحة العقلية بالبليدة؛ التي تحولت من مصحة بأفكاره إلى ورشات تقام فيها مختلف المواهب.

وليس ذلك فحسب؛ بل أكد بعض العمال أن المستشفى في سنوات الخمسينات والستينات...كان شعارهم "قيمة البلد تعرف في الاهتمام والعناية بمعاقيها"، ونجح الفريق العامل آنذاك رغم الوسائل البسيطة والإمكانات شبه المنعدمة في تقديم علاج إنساني ونفسي ومؤسساتي قبل اللجوء للأدوية؛ فأسس لهم الطبيب الشاب "فرانز فانون" ورشات النجارة والحدادة يعمل فها أولئك المختلون عقليا، واستطاع المختلون عقليا بكفاءتهم حسب شهادات العمال أن يحولوا المستشفى ذي 2000 سرير إلى ورشة كبيرة تنوعت فيها النشاطات"[1]

وقد تجلى دور فانون هنا واضحان وكل الدراسات تؤكد أهميته الكبيرة في المصحة العقلية بالبليدة؛ إذ لعب فيها دورا مهما.

"أدرك فانون أن عامل الزمن يمكن أن يكون طريقا في معرفة شفاء وتقدير بعض المرضى للزمن؛ فأنجز لهم مسجدا في العام 1953 تؤدى فيه الصلوات، وأصبح المرضى

---

[2]– نفسه، ص137.

[1]– ياسمين مرجع سابق، ص138.

ينتظمون لأداء هذه العبادة في الأوقات المحددة ناهيك عن الراحة النفسية التي لحظها المشرفون على المرضى وعودتهم للحياة الاجتماعية بدل الانزواء والانعزال..."[2]

وهنا يظهر لنا دور فانون الكبير، وفرقته في بث الحياة في قلوب المرضى في المصحة العقلية بالبليدة في آونة الخمسينات، وهذا يرجع لذكاء، وفطنة فانون؛ الذي أفنى نفسه في خدمة هؤلاء الفئة.

المطلب الثاني: قرار انضمامه للثورة الجزائرية وإسهاماته بها 1956-1961:

وليس من المستبعد على قول أحد المؤرخين؛ أن تكون تجربة فانون كطبيب نفسي في الجزائر وخاصة بعد دراسته لحالات المرض بعد قيام الثورة المسلحة؛ قد كشفت له عن انسداد الطريق الفرنسي بالنسبة لحل المشاكل المتولدة عن الاستعمار، وقد استخلص النتيجة من ذلك؛ فكان انضمامه في الثورة الجزائرية الهامة، كما كان بوصفه سياسيا ومناضلا ملتزما؛ يعمل على توسيع ثقافته السياسية وتعميقها.

وفي هذا يقول الميلي: "وعندما تفرغ فانون تفرغا كليا للعمل في صحافة الثورة- وهي الأشهر التي قضاها في تطوان؛ ضمن هيئة المجاهد؛ بعيدا عن كل اتصال من الخارج أو مع المهنة، وبعيدا عن أسرته التي بقيت بتونس- كانت معظم أوقات فانون موزعة بين القراءة والكتابة، وعلى الرغم من أن هذا التفرغ الكامل كان يسمح بأخذ نصيب وافر من الراحة؛ فقد كان يرفض ذلك، كان لا ينام إلا ساعات قلائل ناذرا ما تتجاوز الخمس، وكان يقسم قراءته بين الكتب السياسية وكتب الطب النفسي..."[1].

ومنه تظهر لنا جلة إسهامات فانون في الثورة الجزائرية من خلال ما بذله فيها، وما قدمه لها حتى بوقته الذي خصصه في أثناء عمله في صحافة الثورة؛ حيث تفرغ لها بأغلى ما

---

[2]- نفسه، ص139.

[1]- ياسمين، مرجع سابق، ص22-23.

لديه؛ تاركا عمله كطبيب، وعائلته، وكل ما تحصل عليه، وهذا إن دل على شيء؛ إنما يدل على تحمل مسؤولية قرار انخراطه في صفوف الثورة الجزائرية.

ساهم فانون أيضا في الثورة الجزائرية بالحضور لاجتماعاتها؛ فقد كان "خلال تلك الجلسات التي كانت المناقشات قليلا ما تخرج عن موضوع النصوص؛ لتتناول قضية معينة او ظاهرة محددة او مسألة تاريخية، وكان فانون كثير إلقاء الأسئلة حول ما لا يعرفه من دقائق الحياة الاجتماعية في الجزائر، وحول المسائل التاريخية التي لم يكن قد قرأ عنها شيئا، وعندما لا يساهم في النقاش؛ كان يتتبع ما يقال بعناية ظاهرة، وقد سجل كل الذين عرفوه آنذاك أنه كان يتحسس في كلامه دفاعا عن فكرة أو دحضا لموقف..."[1]

وهذا بالمقابل يعد من بين إسهاماته في اجتماعات الثورة الجزائرية، وخوضه في النقاشات مع الحاضرين؛ فقد كان كأي عضو جزائري يذكر رأيه اتجاه موقف محدد، وعندما لا يجد ما يضيفه؛ يستمع بجدية محاولا فهم كل القضايا.

وفي هذا دليل في قول الميلي: "وسواء اتفقت وجهات النظر أو اختلفت؛ فقد كان فانون من بين الذين فرضوا أنفسهم؛ بفضل عمق تحليله وسعة أفقه ودقة تفريعاته"[2].

وعليه فهذه أهم ما امتاز به فانون أثناء انضمامه للثورة الجزائرية، وقد كان داعما لها بفكره، وبكل ما امتاز به.

المطلب الثالث: جهوده في تشكيل الجبهة الجنوبية 1960-1961:

إن من أهم مساعي فانون لتأسيس جبهة جنوبية يرجع لعدة أفكار يؤمن بها، وتعد كجهود سعى من خلالها في محاولات لتجسيدها، وهي كالآتي[3]:

---

[1]- لمزيد من المعلومات ينظر: الميلي، مرجع سابق، ص24.

[2]- ينظر: نفسه، ص25.

[3]- هشام مجاهد، الإرهاصات الأولى لشخصيات كفاحية، مجلة الدراية، ع15، الجزائر، 21مارس 2013، ص85-89.

إن شعوب العالم الثالث التي تركتها الدول الغربية وحكمت عليها بالتقهقر إلى الوراء، او على الأقل بالجمود في مكانها، بسبب أنانيتها واستئثارها بالإنسانية عليها أن تتطور على أساس الاكتفاء الذاتي الجماعي.

- تخطئ تلك الشعوب إن هي استنجدت بالبلاد الرأسمالية؛ إنها قوية بحقها وبعدالة مواقفها، وعليها ان تشرح للبلاد الرأسمالية وجوب الكف عن تصوير شعوب العالم الثالث في صورة موجة تهدد بابتلاع أوروبا كلها.
- إن العالم الثالث لا يريد أن ينظم حملة جوع واسعة على أوروبا، وكل ما يطلبه من هؤلاء الذين أبقوه عبدا ذليلا خلال قرون عديدة، هو أن يساعدوه على رد الاعتبار للإنسان في كل مكان إلى الأبد.
- ينبغي ألا تضلل تنازلات الآخر الغربي الذات المناضلة عن الحقيقة، وألا تعميها عنها؛ فهذه التنازلات ليست إلا تنازلات لا تمس جوهر الأمر في حقيقتها، حتى ليمكن أن يقال ان تنازلا لا يمس الجوهر ما لم يتناول الثقافة الاستعمارية في جوهرها.

وعليه فهذه أهم جهود فانون في تشكيل الجبهة الجنوبية؛ تجسدت من خلال أفكاره هاته المتنوعة، والتي ظلت مبادئا أساسية في نظام الجبهة الجنوبية؛ يسير عليها كل المنخرطين لها.

كما أنه أكد من خلالها على أنه كل "الاشكال الوحشية التي يجسدها وجود المحتل على الأرض قد تزول زوالا تاما، والواقع أن زوالها هذا لا يعدو كونه تخفيضا للنفقات التي ينفقها المحتل، ولا يعدو كونه إجراء إيجابيا من أجل الحيلولة دون بعثرة قواه، ولكن الشعب الخاضع للاستعمار لا يلبث أن يدفع ثمن ذلك باهظا، يدفع ثمنه مزيدا من تحكم الاستعمار، وتلاعبه بمصيره..."[1].

[1]– ينظر: مجاهد، مرجع سابق، ص90.

وعليه فهذه أهم منطلقات، وأسباب سعي فانون لتشكيل هذه الجبهة؛ كدفاع عن دول العالم الثالث، ودعما لقضياه المختلفة.

تعد الجبهة الجنوبية من أهم ما ندى به فانون، ويكمن ذلك في قول أحد الدارسين: "كان لا بد من إرسال بعثة على الجنوب وإلى الدول المجاورة لنا على الحدود، وكانت هذه البعثة من فرانز فانون والضابط فرحات في الجنوب الجزائري وكان لدينا مجموعتان واحدة اسمها مجموعة العمل، والأخرى مجموعة الاتصال، وتم تكليف هذه الأخيرة بعمل اتصالات واختير فانون لأنه كان على اتصال بالمفكرين الافارقة وبكثير من الإطارات الافريقية، وقد ساعدنا ذلك حصول غيني ومالي على الاستقلال باعتبارهما تذوقا مرارة الاستعمار"[1].

وعليه فهو بهذا قدم كل ما لديه لتشكيل جبهة جنوبية؛ كان الهدف منها استقلال الجزائر؛ قبل كل شيء، والافارقة بصفة عامة، وخصوصا وقد استقلت بعض دولها كمالي.

ويعلق أحد الدارسين على هذا قائلا: "ولعل اكتشاف الثورة الجزائرية للبعد الإفريقي وانفتاح الآفاق الافريقية أمامها جعلها لبعض الوقت تحت ضغط الظروف وبفعل تناقضات لا تملك أن تحلها بمفردها تفكر في القفز من وراء حدود المغرب العربي إلى إفريقيا والمشرق العربي"[2].

ومنه فهو يبين حقيقة، أو أسباب جعلت فانون يضطر إلى التفكير في تشكيل هذه الجبهة بالذات؛ لخدمة مساعي الثورة الجزائرية، وإنجاحها.

وفي هذا يعلق أحدهم قائلا: "إن هذا الكلام يدل على أهمية المجال الافريقي بالنسبة للثورة الجزائرية، وهو ما أدركه فانون وعبر عليه في أكثر من موضع بجريدة المجاهد، ومثال

[1]– لمزيد من المعلومات انظر: شهادة محمد الشريف مساعدية في: عبد السلام بوشارب، الهقار امجاد وأنجاد، الجزائر، 1995، ص129–139.

[2]– محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص188–189.

ذلك مقاله الذي حمل عنوان: "إفريقيا السوداء أمام الاستعمار الفرنسي"، والذي أبرز فيه عمق العلاقات التاريخية الطبيعية بين الجزائر وجاراتها بلدان إفريقيا جنوب الصحراء"[1].

وعليه فتشكيله الجبهة الجنوبية إذن راجع إلى طبيعة اهتمامه بأهمية المجال الافريقي، وطبيعة العلاقات الجزائرية، وجاراتها من بلدان قارتها.

وقد حققت الثورة الجزائرية لفانون ما كان يصبوا إليه غذ عينته سفيرا متنقلا، وممثلا لها في عدد من الدول الافريقية؛ وكانت فرصته الأولى حين تم تعيينه في الوفد المشارك في مؤتمر آكرا سنة 1958م؛ أين تمكن من التعرف على عددا من الزعماء الأفارقة...إن هذا الاحتكاك الأول والحقيقي بين فانون والكلمة الافريقية؛ جعلت الرجل يتعرف على حجم صيت الثورة الجزائرية داخل هذه الكتلة بالرغم من وضعية الاحتلال الفرنسي...وهو ما جعله يسعى لتجسيد مشروع الجبهة الجنوبية انطلاقا من الحدود الجنوبية الحدودية للجزائر[2].

ومن هنا كانت بدايات التخطيط فنشاء الجبهة الجنوبية؛ فكل هذا الاحتكاك تولدت عنه هذه القرارات؛ التي كانت لها نتائجها فيما بعد.

يقول فانون في هذا: "إن مهمتنا في فتح جبهة الجنوب من باماكو يجب توجيه الأسلحة والذخيرة يجب تحريك سكان الصحراء وإثارتهم والتسرب من هناك إلى الحدود الجزائرية"[1]، ولتجسيد هذه المهمة انطلق هو ورفاقه برا بعدما كادت الرحلة في الطائرة أن تؤدي على اعتقالهم بعد أن تعرف عليهم أو شك في أمرهم مجوعة من عناصر المصالح الفرنسية كانوا يعملون في الخطوط الجوية الفرنسية ليضطروا حيطة وحذرا للتنقل برا من كوناكري على

[1]– المجاهد، ع18ن الصادر 1958/02/15.

[2]– الميلي، مصدر سابق، ص28–29.

[1]– فانون، المصدر السابق، ص 187.

بماكو... وكانت البداية في بماكو بالحصول على التسهيلات اللازمة للبداية بالعمل وكانت البداية بتنصيب جهاز للاتصال اللاسلكي[2].

وعليه فكل هذه المحاولات، والمجهودات، والمساعي التي قام بها فانون لتشكيل هذه الجبهة؛ تدل على مدى اهتمام الرجل بالقضية الجزائرية، وتأثره بها، وبذله النفيس لرؤيتها تحظى باستقلالها.

المبحث الرابع: إسهامات الفكر الفانوني في الفكر المعاصر:

المطلب الأول: امتداد الفكر الفانوني في الفكر المعاصر "حركة فتح الفلسطينية أنموذج":

يمكننا هنا في هذا المطلب تخصيصه للحديث عن امتدادات الفكر الفانوني في الفكر المعاصر؛ من خلال التطرق إلى الحديث عما قسمه أحد المؤرخين بقوله: "فهناك عهدان منفصلان عن بعضهما في تفكير فانون: عهد ما قبل الثورة الجزائرية، وعهد الثورة الجزائرية..."[3]

ومنه فإن لكل مرحلة من تلك المراحل ابعادها في الفكر المعاصر، والتي لا يمكننا معرفتها إلا بالحديث عن كل مرحلة على حدا؛ مع ذكر خصائص كل المرحلة لتتضح لنا طبيعة الفكر الفانوني أولا، ومن ثم الوصول على ماهية امتداده في الفكر المعاصر.

يمكننا هنا ذكر أهم مزايا كل مرحلة من مراحل تميز الفكر الفانوني فما يلي[1]:

- المرحلة الأولى: هي التي يعكسها مقال عنصرية وثقافة، وقد سبق لنا أن شرحنا بعض مظاهرها، وتعكس هذه المرحلة أيضا رسالة الاستقالة من منصبه في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، والتي وجهها على "الوزير المقيم" روبير لاكوست

[2]- نفسه، ص191.

[3]- مجاهد، مرجع سابق، ص91.

[1]- الميلي، مصدر سابق، ص132-136.

عام 1956؛ فهذه الرسالة تؤكد اكتشاف فانون للشعب الجزائري، ووجوده المتميز؛ لان أحداث الجزائر ما هي إلا نتيجة منطقية لمحاولة فاشلة تهدف إلى محو شخصية الشعب، ويمكن القول بان موقف فانون في هذه المرحلة؛ لا يكاد يختلف عن موقف الأوربيين الاحرار الذين رفضوا أساليب الاستعمار، وأدانوا دون أن يتبنوا كلية موقف الثورة الجزائرية.

- المرحلة الثانية: وتكمن هذه المرحلة بالذات فيما يلي:

- الأولى: الظروف التي عاشها فانون في الجزائر؛ سواء كانت ظروف المخاض الثوري أو ظروف انفجار أول نوفمبر قد ساعدت فانون على القيام بهذا الاكتشاف– لميكانيزم الاستعمار من اجل تفتيت الشخصية الوطنية والقضاء عليها من الداخل–.

- الثانية: التحليل الفانوني لمكانيزم الاستعمار فيما يتعلق بمحاولاته إزاء المرأة؛ كان في الواقع متجاوبا مع الموقف التقليدي الذي اتخذته الحركات الوطنية الجزائرية سياسية كانت أو ذات طابع ثقافي.

إن هذه النقاط المذكورة هي أهم ما ميز الفكر الفانوني وجعل له امتدادا شاسعا من خلال أفكاره؛ التي ما تزال شاهدة على ذلك، ومؤثرة في العديد من الحركات نذكر على رأسها "الحركة الفلسطينية"، ويبرز هذا من خلال قوله: "على الشعب أن يدرك ان الاستقلال الوطني يبرز وقائع أخرى كثيرة هي بعض الأحيان متباعدة بل ومتعارضة؛ فهناك أجزاء منه –الآخر المحلي– لها مصالح خاصة لا تتفق اتفاقا كاملا دائما مع المصلحة الوطنية، والشعب، وإن تبني في بداية الكفاح تلك الثنائية التي أوجدها الاستعمار الأجنبي: البيض والسود، العربي، والرومي، يبيت لزاما عليه أن يدرك أنه يتفق لسود أن يكونوا أكثر بياضا من البيض، وأن

هناك فئات من السكان لا يحملها إمكان ارتفاع راية وطنية وإمكان قيام أمة فتية عن التنازل عن امتيازاتها وعن مصالحها"[1].

وعليه ففي هذه الفكرة تتحدد لنا مدى امتداد أفكاره في الفكر المعاصر، وخصوصا من لا يزالون تحت خناق المستعمِر؛ الذي يسعى لتحطيم كل مبادئ الوطنية، وهذا هو السبيل مع الحركة الفلسطينية.

ونجد في قوله: "كما يكون لزاما على الشعب أيضا أن يدرك أن هناك أناسا من بني وطنه لا يتمسكون بمصالحهم فحسب؛ بل ينتهزون كذلك فرصة لا يتمسكون بمصالحهم فحسب؛ بل ينتهزون كذلك فرصة النضال لتعزيز وضعهم المالي وقوتهم، فهم يتاجرون ويحققون أرباحا طائلة على حساب الشعب؛ الذي يضحي بنفسه دائما، ويروي بدمه تراب الوطن؛ إن المناضل الذي يجابه بوسائله البدائية آلهة الاستعمار الجهنمية؛ يكتشف انه بقضائه على الاضطهاد الاستعماري يساهم في خلق جهاز استغلالي آخر، وهو اكتشاف مؤلم وشاق ومثير"[2].

ومن هذا فهو يقدما لنا بعدا فكريا؛ تجسد في كل صوره الحديثة الآن من خلال ما تميز بها مناضلي الحركة الفلسطينية.

ويكمل حديثه عن تلك الفكرة بقوله: "فقد كان الأمر بسيطا للغاية في البداية، كان هناك في نظره أشرار من جهة، وطيبون من جهة أخرى؛ أما بعد الاستقلال الوطني؛ يحل محل الوضوح الخيالي اللاواقعي الأول ظلام يفصم الوعي؛ إذ يكتشف الشعب أن ظاهرة الاستغلال الظالمة يمكن أن تأخذ مظهرا أبيضا أو عربيا، والخيانة ها هنا ليست وطنية فحسب بل

[1]– ينظر: مجاهد، مرجع سابق، ص92–97.

[2]– فانون، مصدر سابق، ص 121.

ثقافية؛ لذا على الشعب أن يتعلم كيف يندد باللصوص، وعليه كذلك في مسيره الشاق إلى المعرفة العقلية؛ أن يترك تلك النظرة التبسيطية الساذجة التي كان يتميز بها إدراكه للمتسلط"[1]

وعليه هذه هي طبيعة الحركات التي تريد الكفاح؛ للتحرر من المستعمِر؛ وهذه الأخيرة هي من ضمن أفكار فانون؛ التي ما يزال لها امتداد إلى يومنا الحالي، وعلى وجه الخصوص الحركة الفلسطينية كأنموذج على تمزها بهذه المبادئ؛ التي تكلم عنها "فانو" منذ العديد من السنوات.

وحركة فتح الفلسطينية هي كما عرفها الباحثون: "حركة وطنية تحررية، ومن أكبر فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وأبرزها في الوطن والشتات؛ غيرت خطها السياسي من المقاومة المسلحة إلى المفاوضات مع الاحتلال الإسرائيلي، وقد تأسست في نهاية الخمسينات وبداية الستينات على إثر العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 واحتلال إسرائيل قطاع غزة، وترجع فكرة إنشاءها على قول أحد قادتها إلى تجربة جبهة مقاومة شعبية وهي تحالف قصير بين الإخوان المسلمين والبعثيين أثناء الاحتلال الإسرائيلي لغزة عام 1965"[2].

وعليه فهذه أهم مزايا حركة فتح الفلسطينية، وهي بالتالي وليدة لفترة متزامنة ما قرب استقلال الجزائر؛ فهي ظهرت في بداية الخمسينات، ونهاية الستينات.

وقد انطلقت الحركة من خلفية وطنية تحررية تسعى لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وقد هيمن عليها في العقدين الأخيرين توجه يغلب عليه يسار الوسط؛ فقد اكدت الحركة في مبادئها على ان فلطين جزء من الوطن العربي، وان الشعب الفلسطيني جزء من الامة العربية، وكفاحه جزء من كفاحها، وأن الشعب الفلسطيني ذو شخصية مستقلة، وصاحب الحق في تقرير مصيره، وله السيادة المطلقة على جميع أراضيه.

---

[1]– انظر: مجاهد، المرجع السابق، ص98.

[2]– إبراهيم ساسي، حركة فتح، حركات وأحزاب، فلسطين، ط. د، 2014، ص12.

وعليه فهذه أهم ما تجسدت فيه هذه الحركة؛ ساعية قدر الإمكان لنبذ الاحتلال الإسرائيلي؛ بمختلف الطرق، والأساليب.

يقول إبراهيم: "بنت الحركة جناحها العسكري "العاصفة" في كل من الجزائر 1962، وسوريا 1964، وتوسعت إلى مئات الخلايا على أطراف إسرائيل في الضفة الغربية، وغزة وبمخيمات اللاجئين في سوريا ولبنان وغيرها من البلدان، وبدأ كفاحها المسلح عام 1965، واستمرت في نشاطها العسكري على الرغم من الطوق الذي كانت تفرضه عليها الدول المجاورة لإسرائيل، وفي نهاية عام 1966 ومطلع عام 1967 ازدادت العمليات العسكرية التي كان تنفيذها العاصفة –الجناح العسكري للحركة"[1].

وهنا المجال ليس للخوض في هذه الحركة بالذات، وإنما ذكرها لتتضح صورتها، وعلاقتها بعنوان مطلبنا، وبما سبق، وهو تجسيدا لفكر فانون؛ الذي دعا للتحرر في مختلف كتاباته.

المطلب الثاني: نقد وتقييم:

إن بعد عرضنا لكل تلك المطالب المختلفة؛ تراءى لنا تخصيص هذا المطلب لعرض أهم منتقدين لعلاقة فانون بالثورة الجزائرية، ومدى فاعلياتها المختلفة من شموليتها، ونماء الروح المنسجمة، والناشئة بصفة أو بأخرى من هذه الظروف المختلفة المحيطة التي عاشها فانون بمجرد بناء علاقاته مع الثورة الجزائرية، ويمكننا ذكر أهم منتقديها ومقيمها سواء بصفة إيجابية أو سلبية فيما يلي[1]:

- وفي انتظار مقررات ذلك الاجتماع تكشف جانب آخر من فانون: كان لا يستطيع أن يخفي لهفته على معرفة ما يكون قد اتخذ من قرارات، وكان واضحا من تلك اللهفة؛ أن فانو كان يعتبر نفسه معنيا بكل ما يتصل بالثورة الجزائرية وما يصدر

[1]– ينظر: ساسي، مرجع سابق، ص13–14.

[1]– الميلي، مصدر سابق، ص 23– 28.

عنها؛ لم يكن يعتبر نفسه "مرتزق قلم" أو "طابخ أفكار" بل كان يضع نفسه على صعيد واحد مع المناضلين الجزائريين؛ مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية ومواقعهم من المعركة، ويبدو أن الفضول العلمي قد شحذ عنده ما عرف عنه من دقة الملاحظة، وكان يهتم بكل قادم من الجبهة، وكان يود الاطلاع على جميع التفاصيل التي يمكن أن تكون لدى مناضل"[2]

- كانت الثورة الجزائرية عندما انضم إليها فانون قد تجاوزت النطاق المحلين وأصبحت موضوع تعاليق السياسة والديبلوماسية في أنحاء العالم، وفي مقدمته البلدان الافريقية... وقد لمس فانون خلال اشتغاله بالمجاهد هذا الجانب في الثورة الجزائرية وهو انفتاحها على إفريقيا، ولا شك ان ذلك قد أعاد إلى ذهنه من جديد تلك المشكلة التي كانت واجهته في خضم الحرب العالمية الثانية عندما عرف حقيقة "الخطأ الأبيض الأكبر" وراح يبحث عن حل بديل في الأصول الافريقية البعيدة[3].
- في غمرة هذا الصراع بين الثورة الجزائرية من جهة، وبين الاستعمار الفرنسي بتشكيله القديم والجديد من جهة أخرى؛ بدأت تتحدد معالم الطريق الافريقية للتحرر والوحدة؛ ووجد فانون أن ما كان يبدو بالأمس خيالا او حلما دخل في حيز الإمكان، وقد تأكد من ذلك عندما عهدت إليه الثورة الجزائرية بمهام معينة في أقطار مختلفة في إفريقيا السوداء[1].
- تم أول اتصال لفانون بإفريقيا السوداء؛ في نطاق الجزائرية في نهاية 1958 عندما عين عضوا ضمن الوفد الجزائري على المؤتمر الافريقي المنعقد في عاصمة غانا؛ هناك تعرف على نكروما وعلى لوممبا الذي كان يمثل الحركة الوطنية

---

[2]- نفسه، ص 23.

[3]- الميلي، مصدر سابق، ص24.

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص25.

الكونغولية، كما تعرف على فليكس موميبي رئيس اتحاد سكان الكامرون، كما اتصل بممثلي حركة استقلال كينيا وبروبير تو هو لدن من أنغولا[2].

- وذلك السياسي–فانون– لمع لأنه تلقى تكوينه في السجون الفرنسية؛ فحتى السجون –يشترط أن تكون فرنسية– كانت مصدر اعتزاز وفخر للفكر الفرنسي إذا كان ذلك يؤدي إلى احتواء حركة ولو معنويا ومن بعيد؛ صحيح أن كتابات صدرت من صحافة الثورة الجزائرية خلال حرب التحرير ضد اليسار الفرنسي كانت بقلم فانون[3].
- فانون كتب في 1957 ثلاثة مقالات حادة اللهجة بعنونا "المثقفون والديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية"؛ لكن ذلك لا ينفي مسألة المصادر الغربية لتفكير فانون؛ ولذلك لم يفهموا ما اعتبروه "تمردا عليهم"[4]

وهذا على اختلاف النقاد والمقيمين لعلاقة فانون بالثورة الجزائرية؛ إلا أن الجميع يثبت مدى بعد نظرته؛ التي تتحلى بكل القيم الشجاعة، والمبادرات الجمة؛ لنيل الاستقلال بالدرجة الأولى.

وعليه فعلاقة فانون بالثورة الجزائرية جد وثيقة؛ تجسدت من خلال مبادراته المختلفة؛ فقد لعب العديد من الأدوار؛ فمرة يبرز كطبيب نفسي في المصحة العقلية بالبليدة، وما قام به من مشاريع مختلفة فيها هو وطاقمه المساعد له، ومرة برز لنا بقرار انضمامه للثورة الجزائرية؛ والذي لم يكن غريبا من شخصية رمزية مثله؛ دون أن نهمل مجهوداته المكثفة لتشكيل جبهة جنوبية كدعم للثورة الجزائرية مع جاراتها من البلدان الافريقية.

---

[2]– نفسه، ص25–26.

[3]– الميلي، مصدر سابق، ص28.

[4]– نفسه، ص28.

هذا دو أن ننسى دوره الكبير من خلال أفكاره التحررية التي امتاز بها، وبصلابة موقفه دفاعا عن التحرر، وعملا بكل ما يمكن ليحصل ذلك للجزائر؛ هذا إلى جانب ما ميزه من امتداد فكره حتى وقتنا المعاصر، وبرز ذلك أيضا في حركة فتح الفلسطينية؛ التي طبقت بعضا من أفكاره سواء بتشابه، أو بقصد؛ فهو شخصية لها صداها الفكري في التاريخ.

الفصل الثانـي:

تحليل كتاب معذبو الأرض

الفصل الثاني: تحليل كتاب معذبو الأرض:

تمهيد

إن كتاب "معذبو الأرض" من المراجع الثورية في العالم على قول مختلف المؤرخين، وهو كتاب لشخصية فريدة من نوعها كفاحان ومواظبة على قول إحدى الباحثات في وصفها له أنه "في مقبرة مقاتلي الحرية للجزائريين؛ يرقد جثمان الطبيب والمنظر السياسي والاجتماعي، المناضل فرانز فانون الذي اشتهر بنضاله من أجل الحرية وإلغاء التمييز العنصري...وسنوات عمره القصير كانت كفيلة بتسجيل اسمه في قائمة أحرار هذا العالم"[1].

وعليه فلهذه الشخصية وزنها التاريخي في العالم تأليفا، وانخراطا في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وغيرها من الأعمال التي ما زالت تحتفظ باسمه إلى اليوم، ومنها مؤلفه المشهور، والذي نحن بصدد تحليله "معذبو الأرض"، الذي "عاين فيه علاقة المستعمر بالمستعمر عن كتب وشرحها وحللها تحليلا تدقيقا شاملا في كتابه مبينا كيفية مواجهة الاستعمار على كافة المستويات القومية والنفسية والعسكرية والاقتصادية...وقد صدر هذا الكتاب بالعربية في أكثر من طبعة، وترجم على العديد من اللغات"[2]، ومن هذا القول؛ فإن هذا المصنف يعالج قضية مهمة، وفيه دعوة صريحة بنبذ الاستعمار بكل أنواعه، وللتفصيل أكثر؛ سنقوم بتحليل أهم ما عالجه هذا الكتاب في المبحث الموالي.

---

[1]- لينا الحسيني، كتاب "معذبو الأرض" لفرانز فانون في سطور، مقال، منشورات كاتبة عربية، البرازيل، د. ط، د. ت، ص2-3.

[2]- نفسه، ص3.

المبحث الأول: الكفاح من أجل التحرر:

إن الكفاح من أجل التحرر لدى فرانز فانون في كتابه "معذبو الأرض" يبرز لنا جليا من خلال مقدمته؛ حيث تقول الباحثة لينا ملخصة هذه المقدمة أنه "يقول سارتر: ليس لمستوطن المستعمر إلا ملجا واحدا يمثل في القوة؛ حين يفقد الأمل، وليس للساكن الأصلي إلا أن يختار بين العبودية والسيادة...إن العنف الاستعماري لا يريد المحافظة على إخضاع هؤلاء البشر المستعبدين فحسب، وإنما يحاول أن يجردهم من إنسانيتهم؛ لذلك لن يدخر جهدا من أجل يقضي على تقاليدهم، ومن أجل أن تحل لغتنا [الفرنسية] محل لغاتهم، ومن اجل أن يهدم ثقافاتهم دون أن يعطيهم ثقافتنا"[1].

وبالتالي فمن خلال عرض هذه المقدمة فإن فانون يقدم لنا من خلالها حقيقة المستعمر، وما يسعى إليه، وفي ضمن حديثه دعوى واضحة للكفاح من أجل التحرر، ولهذا الكفاح عدة طرق؛ فماهي لدى فرانز فانون من خلال كتابه "معذبو الأرض"، هذا ما سنقوم بتحليله في الجزئيات الموالية.

المطلب الأول: العنف بالعنف.

ابتدأ فانون حديثه بعنوان عريض أسماه "في العنف"[2]، وهو عنوان تعرض فيه على قول أحد الباحثين في الحديث عن "العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر"[1]، وقال إن "العنف الذي سيطر على ترتيب العالم، والذي عمل بلا كلال على تحطيم صورة الحياة الاجتماعية

---

[1]– لمزيد من المعلومات انظر: فرانز فانون، معذبو الأرض، نق: سامي الدروبي وآخر، مدرات للأبحاث والنشر، الزيتون– القاهرة– مصر، ط1، 1435/ يناير 2014م، ص9–11.

[2]– نفسه، ص39–91.

[1]– محمد عمو، مواجع معذبو الأرض، مقال، المنشورات الحديثة، الإسكندرية– مصر، د. ط، 2000، ص11.

لدى السكان الأصليين، وخرب بلا قيود طرز الاقتصاد، وأشكال المظهر والملبس، سيطالب به المستعمر وسيتولاه"[1]، ثم واصل حديثه ليؤكد ان "المستعمر لا يكتفي بأن يحدد مجال المستعمر باستعمال القوة، أي بواسطة شرطته ودركه، وإنما يجعل من المستعمر لروح الشر وخلاصته...,إنما هو يعلن أن السكان الأصليين لا سبيل لنفاذ الأخلاق إلى أنفسهم...أو قل إنهم أعداء للقيم."[2]

ويقول أحد المحققين في هذا الأمر بقوله: "وهذا في الحقيقة ما يعكس واقع بعض الدول التي أصبحت بعض مؤسساتهم تقوم بدور المسْتَعْمِر؛ فلم يعد المسْتَعْمِر بحاجة إلى أن ينفق جهودا، وإنما يكفي أن يصدر الأوامر؛ فتقوم شرطة أو درك تلك الدولة بتنفيذ الأوامر"[1]، ومن هذا أعلن فانون من البداية عن حقيقة دامغة؛ هي أن "الاستعمار قد يخرج من الباب ليعود من النافذة"[2].

وهو بهذا يقدم لنا صورة واضحة المعالم حول هذه القضية، وما كانت من خطط تقام من طرف المُسْتَعْمِر من مؤسسات وغيرها كلها تسعى لتدمير المُسْتَعْمَرَةَ.

وهو بهذا يشرح العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر قائلا: "إن العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر هب علاقة جماعة بجماعة، المستعمر يقاوم كثرة العدد بكثرة القوة، إن المستعمِر إنسان مصاب بداء الميل إلى العرض اهتمامه بسلامته يحمله على أن يحمله على أن يذكر المستعمَر بأنه هو السيد"[3]، وفي مقابل ذلك يشير إلى أن "المستعمَر موثوق

---

[1]– فانون، مصدر سابق، ص43.

[2]– نفسه، ص43–44.

[1]– مرجع سابق، ص13.

[2]– فانون، مصدر سابق، ص41.

[3]– نفسه، ص41.

بالأغلال القوية التي أحكَم المستعمِرُ إطباق حلقاتها عليه"، وبالتالي يعيش المستعمَر في حالة من الخوف الدائم.

المطلب الثاني: الاتحاد ثمرة التحرر:

يشير فانون في كتابه إلى قضية مهمة؛ فيقول محمد ذاكرا لها في قوله: "في إطار حديثه –يقصد فانون– عن كفاح المستعمَر؛ نبه فانون إلى أهمية إشراك جميع الفئات في الدعاية، وعدم إغفال أي طبقة مهما كنا نظن أنها هامشية، وقال إن <<الدعاية التي تتقدم بها الأحزاب السياسية تغفل طبقة الفلاحين دائما؛ مع أن من الواضح أن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمَرة هي الثروة الوحيدة، إن هذه الطبقة لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئا بل تطمح أن تكسب بالثورة كل شيء>>"[4]

وفي هذا إشارة كما يقول الباحث أيضا إلى مفارقة عجيبة؛ وهي أن دركي والشرطي في المستعمرات هما المرجع والقيم الشرعي؛ الذي يستطيع المستعمَر أن يرجع إليه ويخاطبه، ولكن في نفس الوقت هما الجهة التي تنطق بلسان المستعمِر ونظام الاضطهاد[1]، وما يمكن الإشارة إليه أيضا حسب أحد المحللين في قوله: "ويتابع الكاتب مناقشة القيم التي يدعو إليها الاحتلال، واعتبر أبرزها وأخطرها الفردية"[2].

[4]– عمو، مرجع سابق، 14.

[1]– عمو، مرجع سابق، ص14–15.

[2]– نفسه، ص15.

ويحلل هذه القضية فيما لها من دور في تخريب الفكر الثوري الذي يعتقد بضرورة الاشتراك في كل شيء لتحقيق أهداف الشعب؛ يقول فانون: "إن القيم تتسمم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحها متى جعلناها تَحْتَكُ بالشعب المستعمر"[3]، ومن ثم كانت أهم قيمة للشعوب المحتلة في نظر الكاتب قيمة الأرض؛ فقد آمن بقدسية الأرض وضرورة تحريرها لتحرير فكر الشعوب المستعمرة[4].

يقول فانون: "والفردية تأتى في طليعة هذه القيم؛ لقد أخذ المثقف المستعمَر عن أساتذته أن على الفرد أن يؤكد ذاته؛ لقد غرست البرجوازية الاستعمارية في ذهن المستعمَر أن المجتمع مؤلف من افراد لكل منهم ذاتيته الخاصة، وأن الغنى إنما هو غنى الفكر؛ غير أن المستعمرَ الذي يتاح له أن يغوص في شعبه أثناء فترة الكفاح من أجل التحرير يدرك فساد هذه النظرية"[5]، وبالتالي فهو يكشف لنا عن وجوه تيقن المستعمرَ بنظرية الاتحاد، عكس الفردية التي حاول المستعمِر غرسها فيه.

وهنا يصير لا بذ له من تجميع قواه من أجل التحرر، وفي هذا يقول فانون أيضا: "وسيكتشف هذا المثقف المستعمر الذي خربته الثقافة الاستعمارية، سيكتشف أيضا أن للمجالس التي تشكل في القرى قوة كبيرة، وأن للجان التي تتألف من أفراد الشعب مثانة هائلة، وأن للاجتماعات التي تعقد للحي أو للخلية خصوصية ما بعدها خصوصية؛ فقضية كل فرد من الأفراد لن تكون عندئذ إلا قضية جميع الأفراد؛ لأنهم إما أن يكتشفهم جنود الاستعمار جميعا؛ فيقتلوهم جميعا، وإما أن ينجحوا جميعا"[1].

---

[3]– فانون، مصدر سابق، ص44.

[4]–لمزيد من المعلومات ينظر: نفسه، ص61–66.

[5]– فانون، مصدر سابق، ص48.

[1]– فانون، مصدر سابق، ص48.

وعليه ففي ذلك القول بيان على قضية مهمة هي قضية الاتحاد مهما كلف الثمن، ويقول في هذا فانون: "إن نجاة الفرد بنفسه، وهي شكل كافر من أشكال السلامة، هي في هذا الميدان امر مرفوض"[2]، ويقول أيضا في قضية الاتحاد فيما بين الشعوب: "ولكن حين يجيء كفاح التحرير؛ فإن هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسما إلى طوائف وهمية، هذا الشعب الذي كان فريسة لرعب هائل لا يغلب، وكان مع ذلك سعيدا بضياعه في زوبعة الأوهام"[3].

ويكمل حديثه عن قضية تحوله من ذلك الحال على اتحاده بأنه "يتبدل أثناء كفاح التحرير، وينظم نفسه تنظيما جديدا، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدا، مباشرة جدا"[4]، ويصف لنا ملامح هذا الاتحاد في قوله: "فتقديم الطعام للمجاهدين، والقيام بأعمال الحراسة والمراقبة، ومساعدة الأسر المحرومة مما يقيم الأود، والنهوض بأعباء زوج قتل أو سجن، تلك مهمات محسوسة ملموسة يدعى إليها الشعب أثناء كفاح التحرير"[5].

---

[2]– نفسه، ص48–49.

[3]– فانون، مصدر سابق، ص51.

[4] – نفسه، ص55.

[5]– لمزيد من المعلومات ينظر: فانون، المصدر السابق، ص55–56.

المبحث الثاني: حقيقة الاستعمار الفرنسي:

يتكلم فانون عن حقيقة الاستعمار الفرنسي في قوله: "إننا نرى في البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من أساتذة الاخلاق، والموجهين، والمصلحين، تقف حائلا بين المستغل والسلطة الحاكمة، أما في المناطق المستعمَرَة فإن دركي والشرطي بحضورهما المباشر وتدخلاتهما السريعة الكثيرة، يظلان على اتصال بالمستعمَر وينصحانه بالعصا أو بالمواد المحرقة، ألا يتحرك، وهكذا ترون أن وسيط السلطة الحاكمة يستعمل هنا لغة هي عنف صرف، إن الوسيط لا يخفف هنا الاضطهاد، ولا يسدل السيطرة حجابا، إنه يعرضهما، وإنه يظهرهما، إنّ الوسيط يحمل العنف هنا إلى بيوت المستعمَرين وإلى أدمغتهم"[1].

وعليه فهو يوضح لنا حقيقة المستعمر الذي يستخدم كل اشكال العنف، ويقول أيضا واصفا له "إن المستعمر لا يكتفي بالقول إنَ القيم قد نزحت عن المجتمع المستعمَر، أو أنها لم توجد فيه يوما، وإنما يعلن عن استحالة نفاذ الأخلاق إلى نفوس السكان الأصليين، وإن القيم لا وجود لها عندهم"[2]، ويصف كنائس المستعمِر التي تسعى لهدم دين المستعمِر في قوله: "إن الكنيسة هي في المستعمرات كنيسة للبيض كنيسة أجانب؛ إنها لا تدعو الإنسان المستعمَر إلى طريق الله، وإنما تدعوه إلى طريق الإنسان البيض"[3].

وهو بهذا يوضح طرق المُسْتَعْمِر في عمليات القضاء على هوية المُسْتَعْمَرات من خلال خططهم المتنوعة.

---

[1]– ينظر: فانون، مصدر سابق، ص200.

[2]– الحسيني، مرجع سابق، ص6-7.

[3]– فانون، مصدر سابق، ص201.

المطلب الأول: التعايش السلمي.

تحت العنوان الأول، والذي قد ذكرناه في سبق في المطالب السابقة "في العنف"؛ يقول أحد الباحثين: "أن الاحتلال أشد أنواع العنف الذي تفرضه القوى الاستعمارية على الأمم، ولا سبيل إلى مقاومة العنف إلا بعنف أشد منه، وفي ذلك دعوة لشعوب العالم إلى الثورة والتحرر لإنهاء الوجود الاستعماري ماديا ومعنويا بمحاربة القيم التي تسعى البرجوازية الاستعمارية لترسيخها بأساليب عدة، أهمها محاورة المثقفين الثوريين"[1].

ويذكر لنا أيضا الوجداني محللا لما تكلم عنه فانون؛ فيقول: "فأبرز العناوين التي يأتي بها المستعمر لمحاورة المثقفين –مثل التعايش السلمي ودمج الثقافات ليست سوى أقوال رنانة وخرافات لا سبيل لتطبيقها في الواقع، حسب تعبير الكاتب، وذلك يعود أولا إلى عدم إيمان المستعمر بهذه القيم، ويستشهد بذلك عندما طالبت الحكومة الفرنسية في أثناء احتلالها وضع جنسيتين للمواطنين والمستوطنين على أراضيها"[2].

بل إن من بين القيم التي يدعو إليها الاحتلال واعتبر أبرزها وأخطرها الفردية[3]؛ لما لها من دور في تخريب الفكر الثوري الذي يعتقد بضرورة الاشتراك في كل شيء لتحقيق أهداف الشعب؛ فهذا تعايش سلمي، أما مع المستعمر المحتل؛ فهو غير ذلك؛ فهو في حد ذاته يسعى لتخريب المستعرة، وإن كان يريد التعايش السلمي لما استعمرها؛ هذا حسب ما رأيناه من خلال قراءتنا لحديث فانون عن هذا المستعمر الحاقد[4].

---

[1]– مهدي الوجداني، سطور حول معذبو الأرض، مجلة حبر الأمم، ع41، القاهرة– مصر، سبتمبر2001، ط. د، ص115–116.

[2]– نفسه، ص117.

[3]– ينظر: فانون مصدر سابق، ص48–55.

[4]– لمزيد من المعلومات ينظر: نفسه، ص55–57.

وهذا دليل على ما تحدثنا عنه في قول أحد المحللين أنه "وفي عنوان "في الثقافة القومية" يؤكد الكاتب على محاولات الاستعمار الدائمة للقضاء على فكر القومية، ويتمثل ذلك في إقناع السكان أن قيمه قد انتشلتهم من الظلام، وفي هذا توجه لإحلال حضارة الشعب، ولا يخفى أن جل ما تسعى إليه الدول المستعمرة محاولة إضعاف كل ما من شأنه أن يوحد الصفوف لإنهاء وجودها، لكن يرى أن لهذا العنف المعنوي الذي تمارسه القوى الاستعمارية دور إيجابي في نفوس المثقفين الثوريين؛ لأنه يحثهم على إنشاء حركات أدبية لمقاومة هذا الانحلال، ومن هنا ينشأ أدب الثورة"[1].

ومن خلال هذا التحليل لما قاله فانون نقلا عن هذا المحلل؛ يتراءى لنا أن الثورة حتمية من الحتميات التي فرضها المستعمر الفرنسي على نفسه، وهذا ما يدل أيضا على البعد كل البعد عن التعايش السلمي؛ فكل الدلائل واضحة على اللاوجود للتعايش السلمي بين المستعمَر والمستعمِر.

المطلب الثاني: الحياد:

تحدث فانون فيما أطلق عليه عنوان "مزالق الشعور القومي" عن هذه القضية –أي قضية الحياد–، وقال: "إن المعركة ضد المستعمر لا تجري منذ البداية على مستوى قومي، لأن المستعمر في البداية يوجه جهوده نحو إزالة بعض المظالم الاجتماعية والحقوقية، ولكنه لا بد وأن يطل على المطامح القومية"، وهنا أشار فانون أيضا إلى "عدم تأهب الصفوة، وفقدان التواصل بينها وبين الجماهير" هو الذي أذى في الأخير إلى "مزالق فاجعة"[2].

[1]– الوجداني، مرجع سابق، ص118.

[2]– لمزيد من المعلومات ينظر: فانون، مصدر سابق، ص124–125.

وعليه ففانون هنا يدعو إلى نبذ الحياد، ومجابهة الشعور القومي، لصد المستعمر الغاشم، والقضاء على كل استراتيجياته، وعدم التبلور في فخه المنصوب له من خلال امتيازاته، ومشاريعه الإغرائية المختلفة.

كما أكد فانون على ضرورة تجسيد الشعور القومي وربطه بمطامح الشعوب، وقال "إن الشعور القومي ما لم يكن تجسيدا لأعمق مطامح الشعب قد يكون إلا شكلا لا مضمون له"؛ ثم استطرد في الحديث عن هذه الزاوية المهمة؛ ليقول: "إن الضعف الكلاسيكي المعروف الذي يعانه الوعي القومي في البلدان المختلفة لا يرجع فقط إلى النظام الاستعماري قد أفسد الإنسان المستعمَر، وإنما يرجع إلى كسل البورجوازية الوطنية وإلى فقرها"[1].

وقد وصف فانون هذه البرجوازية بأنها متخلفة؛ لأن "قوتها الاقتصادية تكاد تكون صفرا"، ولذلك دعاها إلى "أن تضع تحت تصرف الشعب رأسمال المال الثقافي والتكتيكي الذي استطاعت أن تنزعه حين مرورها بجامعات الاستعمار"، وفي نفس الوقت أكد أسفه لحال هذه البرجوازية التي ظلت "تتنكب هذا السبيل البطولي الإيجابي الخصب العادل"، وفي هذا السياق؛ أشار إلى نقطة الزعيم الذي وصفه بأنه "كثيرا ما يكون شريفا، وكثيرا ما يقول أقوالا صادقة"؛ إلا أنه هو الذي يدافع عن "مصالح البورجوازية الوطنية، ومصالح الشركات الاستعمارية السابقة"[2].

وعليه فهو يبن لنا صورة واضحة حول وجهة فانون في حديثه عن الأطراف المحايدة بطريقة غير مباشرة؛ تستنبط من خلال المواقف المختلفة.

---

[1]– الوجداني، مرجع سابق، ص118–119.

[2]– فانون، مصدر سابق، ص128.

ويقول أيضا الوجداني محللا لكلام فانون عن البرجوازية أنه "كل ما يفعله الزعيم هو "أن يجتر تاريخ الاستقلال، ويذكر بالوحدة التي رافقت نضال التحرير"، و"يضاعف جهوده من أجل تخدير الشعب وتنويمه"، و"يعمل جاهدا إما على طرده من التاريخ، وإما على منعه من دخول التاريخ"، والعجيب أن من سمع هذا الكلام يظن أن فانون يعيش بيننا اليوم، ويجزم أن كتابه هذا خصصه لتصوير وتشخيص واقع البلدان العربية"[1].

ومنه فإن قضية الحياد تبقى في نظر فانون مستبعدة، ومن الحتمية الكبرى أن تكون الشعوب جميعها المستعمرة؛ لديها الشعور بالوعي، وكل هذا سبيل من سبل التحرر.

[1]– الوجداني، مرجع سابق، ص120.

المبحث الثالث: علاقة فرانز فانون بالثورة التحريرية:

مما عرفناه سابقا في فصلنا الأول؛ فمن المعلوم أن "فرانز فانون" "طبيب نفسي، ومناضل قاوم فرنسا في الجزائر مع أنه مواطن فرنسي، وشارك في علاج عديد من ضحايا الصراع؛ تكمن روعة كتابه في أنه لا يزال إلى الآن صرخة مدوية في وجه الاستعمار على الرغم من مرور السنين على نشره"[2].

وقد ذكرنا أيضا، وأشرنا إلى طبيعة العلاقة بين "فرانز فانون" بالثورة التحريرية؛ إذ يقف في صفها، ويدعمها، ويدعو لها من أجل التحرر، ويتجلى ذلك من خلال ما قدمه في كتابه من محاور مختلفة نذكرها في شكل نقاط فيما يلي:

1- يقول أحد المحللين[3]: نقرأ تحت العنوان الأول "في العنف" ان الاحتلال أشد أنواع العنف، الذي تفرضه القوى الاستعمارية على الأمم، ولا سبيل إلى مقومة العنف إلا بعنف أشد منه وفي ذلك دعوة لشعوب العالم إلى الثورة والتحرر لإنهاء الوجود الاستعماري ماديا ومعنويا بمحاربة القيم التي تسعى البرجوازية الاستعمارية لترسيخها بأساليب عدة أهمها محاورة المثقفين الثوريين.

2- مناقشة القيم التي يدعو إليها الاحتلال واعتبر أبرزها الفردية؛ لما لها من دور في تخريب الفكر الثوري الذي يعتقد بضرورة الاشتراك في كل شيء لتحقيق أهداف الشعب من خلاله قوله: "إن القيم تتسمم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحها متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر"، ومن ثم كانت أهم قيمة للشعوب المحتلة في نظر "فانون" قيمة الأرض؛ فقد آمن بقدسية الأرض وضرورة تحريرها لتحرير فكر الشعوب المستعمرة، ويقول في هذه القضية أيضا:

---

[2]- نفسه، ص121.

[3]- ينظر: فانون، مصدر سابق، ص39-46.

"بالنسبة إلى شعب محتل القيمة الأبرز والأكثر ملموسية هي الأرض يجب على الشعب أن يحرر أرضه لأنها هي التي تؤمن له الخبز والكرامة"، ثم ينتقل بعدها ليناقش موقف طبقات المجتمع من الاستعمار وتأثير ذلك في الثورة ويبين كيف يستغل الاستعمار هذه الهوة لإضعاف الوطنية[1].

3- يقول أحد المحللين: "أما في العنوان الثاني يتحدث الكاتب عن الهوة بين الطبقات السياسية والجماهير، وسبب ضعف الأحزاب السياسية التي توجه جل اهتمامها إلى العناصر الواعية التي يتركز معظمها في المدن"[2].

4- يحدد لنا "فانون" مزالق الشعور القومي؛ حيث يؤكد على ضرورة وجود وعي قومي لكي تكون مقاومة الاستعمار مثمرة، ويعتبر أن الطبقة البرجوازية التي تضم أغلب الفئات العاملة والمثقفة هي المسؤولة مسؤولية أساسية عن غياب الوعي القومي...[3]

وعليه فمن خلال كل تلك النقاط المعروضة، والتي تقدم لنا طبيعة علاقة "فانون" بالثورة التحريرية؛ إذ كان من خلال مختلف مواضيعه التي تحدث عنها؛ يدعو إلى ضرورتها من أجل التحرر ويرجع هذا إلى طبيعة علاقتها بها، وهذا ما وجدناها في عنوانه الأخير "الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية"؛ حيث ترتبط تحليلاتنا لما تحدث عنه "فانون" في هذا الفصل؛ بطبيعة عمله طبيبا نفسيا، ويقوم أيضا في هذا الفصل بتقديم شرح حول تأثير الحالة النفسية للمستعمِر والشعوب المستعمَرة.

---

[1]- لمزيد من المعلومات ينظر: فانون، مصدر سابق، ص47-55.

[2]- الوجداني، ص118-119.

[3]- ينظر: فانون، مصدر سابق، ص 120-128.

كما أنه يأتي بهذا الفصل في ذكر أمثلة كثيرة عن لحالات قام بعلاجها وتحليله لأشخاص عانوا اضطرابات نفسية جراء الحروب مثل أشخاص شهدوا مجازر جماعية أو قتل واغتصاب وفقدان لأحبتهم وممتلكاتهم[1].

وعليه فمن خلال كل ما ذكرناه تتجلى لنا الصورة واضحة حول علاقة "فانون" بالثورة؛ إذ أن مكانته كونه طبيبا جعلته يحتك كثيرا بالثوار، والمنكوبين، وما إلى ذلك؛ مما جعلته يكتشف أكثر معاناتهم، وقبل كل هذا؛ فهذه العلاقة تعود إلى نظرة "فانون" بصورة مباشرة لحتمية الثورة، وأنها سلاح الشعوب لتتحرر.

المطلب الأول: النخب المثقفة:

وفي هذا المطلب نتحدث عن فانون عنوانا كاملا للحديث عن هذه النخبة المثقفة، وفي هذا وجدنا أحد المحللين يذكر هذا في قوله: "وفي عنوان **فيالثقافةالقومية** يؤكد الكاتب على محاولات الاستعمار الدائمة للقضاء على فكر القومية، ويتمثل ذلك في إقناع السكان أن قيمه قد انتشلتهم من الظلام، ومن هذا توجه لإحلال حضارة الشعب، ولا يخفى أن جل ما تسعى إليه الدول المستعمرة محاولة إضعاف كل ما من شأنه أن يوحد الصفوف لإنهاء وجودها، لكن الكاتب يرى أن لهذا العنف المعنوي الذي تمارسه القلى الاستعمارية دور إيجابي في نفوس المثقفين الثوريين"[1].

وعليه فهو يقدم لنا صورة واضحة عما أراد به "فانون" من هذا العنوان بالذات؛ إذ يشير إلى قضية مهمة؛ تدور في مجملها بالمثقف، ودوره الذي يلعبه بفاعلية كبير.

[1]– لمزيد من المعلومات طالع: فانون، مصدر سابق، ص200–214.

[1]– ينظر: فانون، مصدر سابق، ص160–161.

وكذلك فحسب قول ذلك المحلل لما قاله فانون عن أهمية العنف المعنوي الذي تمارسه القوى الاستعمارية؛ الذي يحثهم على إنشاء حركات أدبية لمقاومة هذا الانحلال، ومن هنا ينشأ أدب الثورة؛ فحين يوضع أبناء الأمة في ظروف استثنائية مثل السجن أو النفي أو الاضطهاد يتولد لديهم الإحساس بواجب الدفاع عن قضيتهم التي هي أمتهم، وفي هذا اهم تجليات **الثقافةالقومية**؛ التي تطغى على الفردية التي يريد المستعمر غرسها وفق ما أشرنا في العنوان الأول[2].

فهذه قضية مهمة جعلت من المثقف أداة حية تحرك شعوبها حول اليقظة لطبيعة الاستعمار، وما يسعى إليه من هدم للإنسانية بمختلف الطرق، والأساليب، وعليه فإن عنف المستعمِر على المستعمَر، وهذه الفئة المثقفة بالذات؛ أدى إلى كل تلك الأحداث.

كما أن هذه النخبة المثقفة؛ يجعل "فانون" بينها علاقة في قوله تحت عنوان "**الأسس المشتركة بين الثقافة الوطنية وكفاح التحرر**"؛ حيث يرى الكاتب هنا أن الوجود الوطني للامة يعني الاشتراك بالقيم والعادات والرؤى؛ لذا يكون أهم شرط لتحقيق هذه الوطنية وجود الأمة صدقها؛ فيجب أن يحمى ويدافع عنه بقوى تحررية تكون في هيئتها المنظمة للدولة[1].

وفي هذا الجمع الواضح بينهما يتضح لنا أن النخبة المثقفة أداة مساعدة على الكفاح؛ بما تقدمه من جهود لذلك.

ويشير أيضا من خلال اعتباره من هذه النخبة المثقفة بقوله: "لقد أصبحنا نعرف الآن أن الاستعمار في المرحلة الأولى من مراحل الكفاح الوطني، يحاول أن يشل المطمح القومي، بإسباغ طابع اقتصادي عليه؛ فتراه منذ بزوغ المطالب الأولى يتظاهر بالفهم

[2]– عمو، مرجع سابق، ص19.

[1]– لمزيد من المعلومات ينظر: فانون، مصدر سابق، ص164.

ويعترف في تواضع مسرحي بان البلاد تشكو من تخلف خطير يوجب بذل جهد اقتصادي واجتماعي كبير"، وهو بهذا القول يشير إلى ضرورة النخبة المثقفة في نشر الوعي، وفي نفس الوقت يشير إلى أهميتها البالغة في نشر الوعي[2].

وهذه إشارة جد مهمة منه لارتباطها الوثيق بالمعالم الكبرى التي تؤدي بالمثقف لا محالة في معرفة حقيقة ما يدور حوله، ومن هنا ينطلق في مهمته المثالية، ولا يقبل العودة منها إلا متحررا من كل قيود الاستعمار بشتى أنواعها، ومغرياته اللامتناهية.

كما أنه في ظل كل الظروف المحاطة بالمثقف المستعمَر، وفي ظل هذه الظروف لا يكون مطمحه "ترفا كماليا بل ضرورة عملية منسجمة؛ إن المستعمر الذي يضع معركته على مستوى المشروعية؛ الذي يريد أن يأتي ببراهين؛ الذي يرتضى ان يعرى جسمه في سبيل أن يعرض تاريخ جسمه عرضا أصح؛ إنما هو محمول حملا على الغوص في أعماق شعبه، وليس هذا الغوص قوميا فحسب، إن المثقف المستعمِر الذي يقرر أن يعلن الحرب على الأكاذيب الاستعمارية؛ إنما يخوض المعركة على مستوى القارة كلها"[1].

وعليه فهو من خلال ما يذكره هاهنا؛ فهو يوضح لنا مدى اتساع، وشمولية المثقف الذي يقرر إنهاء أكاذيب المستعمِر المختلفة.

دون ان ننسى إشارته الواضحة لماهية هذه النخبة التي يعرفها بقوله: "النخبة المثقفة، فهي في مسألة العنف ليس لها وجه تعرف به، هي عنيفة في الاقوال، إصلاحية في المواقف والأعمال"[2].

---

[2]– نفسه، ص168.

[1]– فانون، مصدر سابق، ص171.

[2]– نفسه، ص57.

ومنه فهذه النظرة للنخبة المثقفة من منظور فعلي عايشه؛ وهو حقيقة لا نقاش فيها؛ مفادها مدى أهمية هذه النخبة في الوسط الاستعماري المتواجدة فيه.

المطلب الثاني: الأحزاب السياسية:

إن مفهوم الأحزاب السياسية لدى "فانون" شكل خاص؛ إذ يقول:" ونحن نعلم أن ما يميز بعض التشكيلات السياسية هي أنها تنادي بمبادئ، ولكنها تمتنع عن إطلاق شعارات، وكل النشاط الذي تقوم به هذه الأحزاب السياسية الوطنية؛ إنما هو في فترة الاستعمار نشاط من النوع الانتخابي، هو سلسة من المقالات الفلسفية السياسية حول فكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها، وحق البشر في الكرامة والخبز"[3].

وعليه فهو يقدم لنا من خلال حديثه عن الأحزاب السياسية نظرة واقعية لما تتبناه هذه الأحزاب، وتناشد به.

كما أنه يكمل تعريفه لتلك الأحزاب السياسية، ويعرف مطالبها على أنها "ترديد لا ينقطع للمبدأ القائل ''إن لكل فرد صوتا''، إن الأحزاب السياسية الوطنية لا تلح أبدا على ضرورة استعمال القوة؛ لأن هدفها ليس هو قلب النظام القائم واستئصاله من جذوره[1]، ويبن أيضا حقيقة هذه الأحزاب قائلا: "إن هذه الأحزاب السياسية أحزاب مسالمة؛ تنادي بالمشروعية، وتناصر في حقيقة الأمر النظام...الجديد، ولا تزيد على أن توجه إلى البرجوازية الاستعمارية هذا المطلب: 'اعطونا مزيدا من السلطة'"[2]

---

[3]– ينظر: فانون، المصدر السابق، ص57.

[1]– فانون، مصدر سابق، ص57.

[2]– نفسه، ص57.

وهذا المفهوم هو جد دقيق لمعيار مهم من معايير المجتمع هذه الأحزاب السياسية؛ التي أنشأت حسب لغرض سياسي في أساسه؛ له دوافعه المختلفة في حين آخر.

ثم ينطلق بنا لتعريفنا بكيفية التمييز بين خصائص الأحزاب السياسية في قوله: "ويجب أن تفسر هذه الخاصية التي تميز الأحزاب السياسية الوطنية، بأمرين في آن واحد هما نوع قادتها ونوع قاعدتها، إن قاعدة الأحزاب السياسية الوطنية تتألف من أفراد من سكان المدن وهؤلاء العمال والفلاحون وأصحاب الحرف والتجار، الذين بدأوا يستفيدون من الوضع الاستعماري ولو استفادة ضئيلة، هؤلاء لهم مصالح خاصة، وما تطاب به هذه القاعدة الشعبية في الأحزاب السياسية إنما هو تحسين أحوالها وزيادة أجورها"[1].

وعليه فهو بهذا الأمر يحدد لنا أول قاعدة من قواعد الأحزاب السياسية؛ ألا وهي قاعدة سكان المدن؛ الذين لهم مطالبهم الخاصة.

ويكمل حديثه عن قواعد هذه الأحزاب السياسية قائلا: "والحوار بين هذه الأحزاب السياسية وبين الاستعمار لم ينقطع يوما، فهي تبحث في تحسين الأحوال وفي التمثيل الانتخابي، وفي حرية الصحافة وحرية الاجتماع، إنها تبحث في الإصلاحات، ولذلك يجب ان لا يدهشنا أن نرى عددا كبيرا من السكان الأصليين ينتمون إلى فروع المنظمات السياسية الموجودة في البلد المستعمر، إن هؤلاء ينادون بشعار مجرد' السلطة لطبقة البروليتاريا' ناسين أن شعارات وطنية هي التي يجب ان تكون أساس المعركة في منطقتهم"[2].

[1]– فانون، مصدر سابق، ص57.

[2]– نفسه، ص57–58.

وهو بهذا يبين لنا طبيعة هذه القاعدة من السكان، وأسباب انضمامها لهذه الأحزاب السياسية بالذات، والتي تخدم مصالحها.

ويقول أيضا في وصفه لخصائص هذه الأحزاب السياسية أن " الدعاية التي تتقدم بها معظم الأحزاب السياسية، تغفل طبقة الفلاحين دائما، مع أن من الواضح أن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمَرة هي الطبقة الثورية الوحيدة، إن هذه الطبقة لا تخشى ان تخسر بالثورة شيئا؛ بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شيء، والفلاح المنبوذ، الجائع، هو الإنسان المستغل الذي يكتشف قبل غيره أن العنف وحده هو الوسيلة للجدية..."[1].

وفي هذا بيان صريح لأهمية قاعدة السكان في الأحزاب السياسية؛ وعلى رأسها الفلاحين؛ الذين لا يخافون من خسارة أي شيء، وهي الطبقة الأكثر دافعية حسب رأيه.

وفي هذا نموذج يذكره لنا فانون في قوله: "إن هذا المستغل يدرك أن تجرره يقتضي استعمال جميع الوسائل، وأولها القوة؛ حين أعلنت جبهة التحرير الوطني عام 1956، بعد استسلام جي موليه للمستعمرين الفرنسيين، حين أعلنت في منشور شهير لها، أن الاستعمار لا يرفع يده غلا إذا جعلت السكين في عنقه، لم يجد أي جزائري صادق أن هذه الألفاظ عنيفة، لقد كان ذلك المنشور ينطق بلسان جميع الجزائريين، ويفصح عما رسخ في اعمق أعماق ضمائره من ان الاستعمار ليس آلة مفكرة، ليس جسما مزودا بعقل، وإنما هو عنف هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى"[2].

وعليه فهذه قضية جد مهمة تعتبر من أساسيات ما تقوم به الأحزاب السياسية من نقل للرأي العام في شكل خطابات رئيسية.

---

[1]– فانون، مصدر سابق، ص58–59.

[2]– نفسه، ص59.

إن من مطالب الأحزاب السياسية المطالبة بحضارة قومية؛ وفي هذا يقول فانون: "غننا نرى بين رجال الأحزاب السياسية حينا، وعلى موازاة هذه الأحزاب أحيانا، أناسا من أهل الثقافة المستعمَرين يتخذون المطالبة بحضارة قومية والبرهان على وجود هذه الحضارة القومية ميدانا لمعركة مفضلة، فبينما نجد السياسيين يتخذون الواقع الراهن ميدانا لعملهم، نرى رجال الثقافة هؤلاء يضعون نشاطهم في إطار التاريخ"[1].

ومنه فهو يبين لنا طبيعة مناداة المثقفين في الأحزاب السياسية، ونمطية تفكيرهم؛ لاتخاذهم من الواقع ميدانا لهم.

ويقول أحد المحللين لحديث فانون عن الأحزاب بأن "الأكثرية الساحقة في الأحزاب الوطنية تشعر تجاه الجماهير الريفية بحذر كبير وارتياب شديد، إنها تحس أن هذه الجماهير عاطلة عقيمة، وما يلبث أعضاء الأحزاب الوطنية من عمال المدن والمثقفين، أن يصبح رأيهم في سكان الأرياف كرأي المستوطنين"[2].

وبالتالي فهو يحلل خطاب فانون عن الأحزاب السياسية، وسعت فعاليتها، وانتشارها في الأوساط المختلفة.

وفي أخر هذا المطلب؛ يمككا استنتاج أهم النقاط الأساسية لهذا الفصل فيما يلي[3]:

- كتاب معذبو الأرض كتاب تاريخي؛ ينقل الأحداث بطريقة منطقية واقعية[4].

[1]– فانون، مصدر سابق، ص169.

[2]– الوجداني، ص122.

[3]– فانون، ص39–226.

- فانون يظهر رأيه بكل موضوعية لحقيقة الاستعمار من خلال كتابه، مشيرا إلى أهم القواعد الأساسية لمحاربة هذا الاستعمار، ونبذه[1].
- مواضيع الكتاب متميزة تطغى عليها النظرة الإنسانية الصادقة، والمجردة من أي كذب، وتضخيم.
- يتناول موضوع العنف، ويجعله الركيزة الأساسية لمقابلة الاستعمار؛ فالعنف بالعنف؛ يحدث توازنا، ويحقق أهدافا[2].
- يشير إلى قضية النظرية الفردية التي من شأنها التفريق، وانتشار الأنانية، ونبذ الآخر، وبالتالي القضاء على الاتحاد، والتجمع، وهي مساع استعمارية واضحة[3].
- تعتبر القومية الثقافية نزعة مهمة أكد من خلالها فانون على أهميتها في بث الوعي، واليقظة بالشعوب؛ لمعرفة حقيقة المستعمِر الذي لا تتجسد في نواياه الخير[4].
- الشعور القومي دافع مهم للنهوض، والبحث عن طرق واضحة للتحرر، وبالتالي الكفاح بمختلف الوسائل[5].
- كتاب معذبو الأرض يعالج فيه فانون موضوع الأحزاب السياسية بنظرة جد مستهدفة من واقع ملحوظ[6].

---

[4]– لمزيد من المعلومات انظر: نفسه، ص 39–251.

[1]– مصدر سابق، ص40–230.

[2]– ينظر: نفسه، ص39–50.

[3]– فانون، مصدر سابق، ص48–55.

[4]– نفسه، ص168–199.

[5]– فانون، مصدر سابق، ص125–128.

- مواضيع فانون يطغى عليها الطابع المنهجي التاريخي الوصفي، مع ذكر الأحداث بتواريخها في بعض المعالم التي تستدعي ذلك.
- نظرة فانون للثورة التحريرية نظرة دعم، وموافقة؛ فدعمه برز من كونه كان طبيبا نفسيا يعالج المنكوبين، والمتضررين، وموافقته من نظرته لمعاناة هؤلاء؛ فالثورة في منظوره ضرورة لا بذ من السعي لها بمختلف الطرق، لرفع كل الممارسات العنيفة من قبل المستعمِر المدمر[1].

[6]– نفسه، ص57–59، ص169.

[1]– فانون، مصدر سابق، ص 201–229.

خاتمة

وفي الأخير نستنتج:

- ❖ فرانز فانون من مواليد 1925 بقور دي فرانس عاصمة جزيرة المار تنيك المعروف باسم إبراهيم عمر فانون، وينتمي لعائلة تمتاز نوعا ما بمكانة مرموقة؛ حيث أن والده كان موظفا في الجمارك، وهو حفيد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى جزر الأنتيل بإفريقيا، وعاش فانون بعدها في أوضاع مضطربة كانت تدور حوله، كما أنه رغم كل هذه الأحوال؛ إلا أنه لم يتخلى عن دراسته؛ حيث نجح في مشواره الدراسي، وتحصل على البكالوريا بامتياز أهله أن يتلقى منحة للدراسة في فرنسا، وفعل هذا وتخرج منها طبيبا نفسيا، بالإضافة إلى الخدمات التي قدمها للحرب العالمية الثانية؛ فقد أصبح محتك بالثقافة الفرنسية، وتوفى فانون في 1961.
- ❖ لفرانز فانون العديد من المؤلفات الخالدة ككتاب معذبو الأرض، وكتاب لأجل الثورة الإفريقية، وغيرها من المؤلفات المتنوعة التي حملت اسمه؛ فظل خالدا يتوارثه الأجيال.
- ❖ إن علاقة فانون بالثورة جاءت بأسباب كثيرة على رأسها احتكاك فانون بهذه الثورة بطبيعة عمله؛ فقد وجه إلى مستشفى البليدة بالجزائر؛ فقد كان طبيبا نفسيا، وهنا كانت النقطة الفاصلة في حياتها التي تغيرت نظرته للثورة الجزائرية؛ فقد عايش الثوريين الجزائريين، وعرف بحجم ما خلفه الاستعمار في نفوسهم، وحتى من خسائر تكبدت في قلوبهم؛ لتجعلهم مرضى كالمنكوبين، والأرامل.
- ❖ إن تحليل كتاب "معذبو الأرض" من أهم المصادر الثورية في العالم على قول مختلف المحللين، وهو كتاب لشخصية فريدة من نوعها كفاحان ومواظبة؛ ففي مقبرة مقاتلي الحرية للجزائريين؛ يرقد جثمان الطبيب والمنظر السياسي والاجتماعي، المناضل فرانز فانون الذي اشتهر بنضاله من أجل الحرية وإلغاء التمييز العنصري...وسنوات عمره القصير كانت كفيلة بتسجيل اسمه في قائمة أحرار هذا العالم.

❖ إن العنف بالعنف، والاتحاد ثمرة النجاح، وغيرها من المواضيع المهمة التي تطرق لها فانون في كتابه، وبعد تحليلها فهي مواضيع يتناوله بكل دقة في عرض معلوماتها المختلفة من أبعادها المختلفة.

قائمة المصادر

والمراجع

1- مصادر:

1. فرانز فانون: معذبو الأرض، تر: سامي الدروبي وآخر، منشورات الجزائر، 2004، ص10.
2. فرانز فانون، نمو سوسيولوجية ثورة ترجمة ذوقان قرقوط، بيروت- لبنان، د. ط، 1970.
3. فرانز فانون، معذبو الأرض، نق: سامي الدروبي وآخر، مدرات للأبحاث
4. فرانز فانون: لأجل الثورة الإفريقية، تر: ماري وآخر، دار الفارابي -بيروت، ط1، 2007.

2-مراجع

1. رابح لونيسي: فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية، مجلة عصور، ع1، جوان 2002.
2. محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الغرب الإسلامي- الجزائر، 2010.
3. والنشر، الزيتون- القاهرة- مصر، ط1، 1435/ يناير 2014م.
4. محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
5. محمد عمو، مواجع معذبو الأرض، مقال، المنشورات الحديثة، الإسكندرية- مصر، د. ط، 2000.
6. إبراهيم ساسي، حركة فتح، حركات وأحزاب، فلسطين، ط. د، 2014.
7. عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطة- الجزائر، ط1، 2009.
8. عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، دار الهدى- بيروت، ج1.
9. عمراني عبد المجيد، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية 1954-1962، دار الشباب، ط1، باتنة د. س. ن.
10. عبد الهادي الجوهري: معجم الاجتماع، مكتب جامعي حديث- الإسكندرية، 1998.

11. عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، دار الطباعة الشعبية للجيش- الجزائر، 2007.
12. عبد الهادي الجوهري: معجم الاجتماع، مكتب جامعي حديث- الإسكندرية، 1998.
13. لينة ياسمين، مستشفى فرانز فانون بالبليدة صرح صحي للتكفل بالأمراض العقلية، مجلة الأبحاث الطبية، ع51، البليدة، الاثنين 13 أكتوبر 2014.
14. هشام مجاهد، الإرهاصات الأولى لشخصيات كفاحية، مجلة الدراية، ع15، الجزائر، 21مارس 2013.
15. يحيى بن الوليد: خطاب ما بعد الاستعمار، جريدة الكلمة، ع16، أفريل 2008.

3-رسائل:

رماضنة معفر، أنواع أساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي بالجزائر إبان الثورة الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، باتنة، 2006/2005.

4-مجلات وملتقيات:

1. سلسلة ملتقيات- كفاح المرأة الجزائرية- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر د. س. ف.
2. سيدي علي نصيرة، أسطورة القرن العشرين، تاريخ الزيارة 2 ماي 2013، http//www/dyatairess.com
3. شهادة محمد الشريف مساعدية في: عبد السلام بوشارب، الهقار امجاد وأنجاد، الجزائر، 1995.
4. لينا الحسيني، كتاب "معذبو الأرض" لفرانز فانون في سطور، مقال، منشورات كاتبة عربية، البرازيل، د. ط، د. ت.

5. مهدي الوجداني، سطور حول معذبو الأرض، مجلة حبر الأمم، ع41، القاهرة– مصر، سبتمبر 2001، ط. د.

ملخص

فرانز فانون الشخصية التي صنعت بآدابه صدى عميق في الساحة الأدبية بما سكب قلمه في سبيل الكفاح والتحرر من الاستعمار الغاشم، كما أنه إلى جانب بطولاته التاريخية المعروفة إلا أنه يعد خامة في الساحة الأدبية حظي بمكانة عظيمة مكنته من الإبداع في مجال الأدبيات من خلال مؤلفاته المتنوعة.

يعد كتاب فرانز فانون معذبو الأرض كتابا جد مفعم بالروح الروائية، والسردية الفائقة الجودة، والأهمية من خلال تلاقح أفكاره المختلفة الممزوجة بالروح الأدبية نثرا من سجع، وجناس، وطباق، وكل هذا ساهم في جعله يحظى بهذا الاهتمام، وبمثل هذه الدراسات.

Frantz Fanon est le personnage dont la littérature a fait un profond écho dans les milieux littéraires, sa plume pour la lutte et la libération du colonialisme brutal et outre son héroïsme historique bien connu, sont considérés comme une matière première dans les idées et le style. Ce qui lui a valu une excellente position qui lui a permis d'être créatif dans le domaine de la littérature à travers ses diverses œuvres.

Le livre de Frantz Fanon « Les Damnés de la Terre », est un livre plein d'esprit romanesque, de narration de grande qualité, et d'importance par le croisement de ses différentes idées mêlées à l'esprit littéraire, en prose de rimes d'allitérations et de contrepoints et cela contribue à lui faire susciter cet intérêt et de telles études.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	–
الشكر	–
المقدمة	ب– ه
الفصل الأول: نبذة عن حياة فرانز فانون	–
المبحث الأول: نشأة فرانز فانون [مسيرته وحياته النضالية]	7
المطلب الأول: مولده وأصله	7
الفرع الأول: مولده	7
المطلب الثاني: دراسته ومسيرته النضالية	10
الفرع الأول: دراسته	10
الفرع الثاني: مسيرته النضالية	12
المطلب الثالث: وفاته	14
المبحث الثاني: مآثر فرانز فانون من بعض كتاباته وما قيل فيه	16
المطلب الأول: مآثر فرانز فانون من بعض كتاباته	16
المطلب الثاني: ما قيل في فرانز فانون	19
المطلب الثالث: بعض مقتطفات من كتب فرانز فانون	20
المبحث الثالث: علاقة فانون بالثورة الجزائرية	21
المطلب الأول: فانون بالمصحة العقلية بالبليدة 1953–1956	29
المطلب الثاني: قرار انضمامه للثورة الجزائرية وإسهاماته	32

بها	
المطلب الثالث: جهوده في تشكيل الجبهة الجنوبية 1960-1961	33
المبحث الرابع: إسهامات الفكر الفانوني في الفكر المعاصر	36
المطلب الأول: امتداد الفكر الفانوني في الفكر المعاصر "حركة فتح الفلسطينية أنموذج"	37
المطلب الثاني: نقد وتقييم	41
الفصل الثاني: تحليل كتاب معذبو الأرض	-
تمهيد	45
المبحث الأول: الكفاح من أجل التحرر	46
المطلب الأول: العنف بالعنف	46

المطلب الثاني: الاتحاد ثمرة التحرر	48
المبحث الثاني: حقيقة الاستعمار الفرنسي	51
المطلب الأول: التعايش السلمي	52
المطلب الثاني: الحياد	53
المبحث الثالث: علاقة فرانز فانون بالثورة التحريرية	55
المطلب الأول: النخب المثقفة	56
المطلب الثاني: الأحزاب السياسية	61
خاتمة	68
قائمة المصادر والمراجع	70
ملخص	